مجلة البيان – العدد 15 ، ربيع الآخر 1409 هـ / ديسمبر 1988 م

الافتتاحية

تزوير التاريخ

بـعـض من يطلـقـون على أنفـسـهم صـفـة دارسي التاريخ روجوا - ويروجون - مقولات لا يسأمون من ترديدها وتكرارها ، وهذه الـمـقـولات لا تساق في معرض وضع وتحديد الأسس الصحيحة لدراسة التاريخ ، بل تقحم في ثـنـايا حديثهم الموجه دائماً للهجوم على كل ما له صلة بالإسلام ، فيتخذونها تكأة للتنفير مـن الـرمـوز الإسـلامـية: حضارة وشخصيات، ودعوة لنبذ كل ما له علاقة بهذا التاريخ تحت دعاوى أصبحت مملولة وممجوجة مثل: التطور ، التقدم ، النهضة ، التحرر..

وهؤلاء الذين اتخذوا التاريخ مجالاً لنفث سمومهم غالبًا ما يخرجون بنتيجة ، هي: أننا حتى نبرأ من تلك العيوب - التي توصلوا إليها بدراستهم القاصرة ، ونياتهم الفاسدة -، لا بد لنا من اتخاذ العلمانية مبدءًا للحياة ، فنفرق بين ما هو دين وما هو دنيا ، ونعطي ما لـقـيـصـر لقيصر ، وما لله لله ، ونقيم حياتنا على العلم البعيد عن العواطف ، ونبنيها على الـتـخـطـيط الذي يعطي نتائج محايدة ، ونتيح تكافؤ الفرص للجميع ، فيُعطى كل ما يستحقه ، ونخـرج مـن دوامـة الاخـتـلاف والتفـرق ، وهكـذا لا يكون التاريخ حِكراً على شخص أو أشخاص، وإنما يقوم على جهد جماعي يؤدي كل فرد فيه واجبه ، ويعرف له حقه.

هـذا هـو مجـمـل الفـكـرة التي تدور في فكر الذين أرادوا للأجيال الإسـلامـيـة - فـي ظـل الاستعمار الغربي - أن ترسخ في نفوسهم ، واستدلوا عليها بصنوف من التزوير والتهويش ، فرموا التاريخ الإسلامـي بـأنـه تـاريـخ أشخـاص، وأبرزوا من هذا التاريخ كل الجوانب السلبية ، وكتموا كل الجوانب المضيئة ، وحـمـلـوا الإسـلام والحضارة الإسلامية وزر كل مخالف عاش في ظلالها ، ومرغوا - بكل خِسَّة ووقاحة وظـلـم واضـح - كـل الـصـفـحات الـمـشـرقـة بالتراب ، وسودوا الكتب الكثيرة بأهواء نفوسهم وخزاياهم ، وأسقطوا على كل مكرمة عيوبهم فاستحالت مثلبة ، وسلبوا حق الدفاع من المتهم ، فكانوا خصوماً وقضاة في ثوب واحد.

هكذا كان ، وهكذا انكشف عن المسلمين عصر ، وحل عصر.

ماذا نجد إذا نظرنا خلفنا خلال قرن ، وهي الفترة التي نُحِّيَ الإسلام بالقوة عن أن يقول كلمته في حياة الناس؟

يكفينا في هذا المجال أن ننظر إلى هدفين من أهداف العلمانيين هما: العلمانية نفسها ، ثم الحرية.

أما إذا نظرنا إلى الهدف الأول ، وهو العلمانية:
فلا أحد يستطيع القول: إن المسلمين يعيشون في ظل شرعية إسلامية ، (وهذا لحسن حظ من يشمئزون عند ذكر الإسلام) ، حتى الزاوية الضيقة جدًا التي سمح للإسلام - عن غير طيب خاطر طبعاً - أن يبقى فيها، وهي زاوية الأحوال الشخصية، تُتَحَيَّف مرة من هنا، ومرة من هناك، وياما أكثر المناسبات التي رأينا وسمعنا وقرأنا عنها، حيث يقـف ساقط أو ساقطة يتنقص أخص ما يخص المسلمين من أحكام كالطلاق، وتعدد الزوجات، ومـسـائـل الإرث، والـولايـة في الزواج وغير ذلك، ويصب جام غضبه على هذا الدين وأهله، بـيـن تصفيق السفهاء وتشجيع المشجعين، دون أن يؤذن لمسلم بالرد على هذه التهجمات المسعورة والترهات الباطلة.
لقد خلت الساحة للعلمانية أن تسود ، وبعد أن كانت مطمحاً لدعاة التغريب في أواخر عهد الدولة العثمانية ، أصبحت حقيقة واقعة بعد القضاء عليها ، وتولت فرضها بالحديد والنار الدول الصليبية المستعمرة ، ثم النخبُ الحاكمة المستظهرة بها بعد ذلك.
ولـكـن آيـة علـمـانـيـة تلك الـتـي طـبقـت على العالم الإسلامي؛ هل هي العلمانية الغربية بنصها، والتي كانت المثل الأعلى والنموذج المحتذى؟
لا!
ففي حين نادت علمانية الغرب بالفصل بين الكنيسة والدولة، وجعلت كل جبهة مستقلة كل الاستقلال عن الأخرى؛ فلا الكنيسة تتدخل بشؤون الدولة، ولا الدولة تتدخل بشؤون الـكـنـيـسـة ونـشـاطـهـا الخاص، وليس لها كلمة لا في إرسالياتها، ولا في برامجها داخل الكنيسة، ولا في أوقافها، وأموالها.
نقول: بينما كانت علمانية الغرب المقـتدى به هي هذه، إذا بنا نرى علمانية أخرى كأنما صنعت لنا خصيصاً،

فلم تكُ تصلح إلا (لنا) ولم (نك نصلح) إلا لها!!

علمانية تفـترس كـل شـيء ، وتتدخل في كل شيء ، وتجتاح كل شـيء ، حـتـى البيوت والمساجد ، لا تتدخل في أخص خصائص الإسلام فحسب ؛ بل هي التي تـفـتـي وتـشـرع وتحدد للمسلم: ماذا يجب أن يقرأ، وماذا يجب أن يسمع، وماذا يجب أن يأخذ، وماذا يجب أن يدع ، علمانية تعطي الحرية لكل الأديان إلا الإسلام ، وتتأدب عند دخول كل معابد الملل والنحل إلا الإسلام.
فهل آل أمر العلمانية إلى أن تصير إلى هذه الصورة؟، وهل على المسلم من سبيل إذا ما طوى جوانحه على مقت هذه العلمانية ، ومقت دعاتها ، وأسرّ وجهر بالبراءة منها ، وتربص بها حتى يحين موعد رميها في وجوه أصحابها؟!
إن الـبـاحـث في تـاريـخ تطـبـيق العلمانية على الشعوب الإسلامية ليهوله أن يرى أن كل الكوارث التي حلت بهم مرجعها إلى هذه الوصفة الحمقاء ، ولا أحد يستطيع أن يدعي أن مـا نـعـاني مـنـه، وما عانـيـنا خلال الفترة السابقة،

قد حصل في ظل هيمنة إسلامية، أو تـوجـه لـه أدنـى عـلاقـة بالإسلام كنظام مستقل متفرد شامل، بل إن الانهيار الاقتصادي المتمثل بالديون التي ترهق كاهل الشعوب الإسلامية؛ والأزمات التي تشغل بالها،والانهيار الحضاري المتمثل في فقدان الثقة بالنفس؛ وشيوع الاتكالية، والفساد، والتسـلـط، والبطالة المقـنعة، وضعف الكفايات، وهجرة الأدمغة .. كل ذلك هو بعض أعراض فصل المجتمعات الإسلامية عن قيمها التي تستمد منها مبرر وجودها ، هذه القيم التي لا يمكن أن نجد لها مصدراً صحيحاً خارج الإسلام.

الهدف الثاني هو :الحرية.

والـحـرية شـعـار ومـصـطـلـح قـد يـثير الالتباس، ويعطي معاني مختلفة باختلاف الأمكنة والأزمنة التي يرفع فيها، وباختلاف الأشخاص الذين يرفعونه. فبينما كانت الحرية تعني في عصر الاستعمار إخراجه من البلاد، والاستقلال عن وصايته وتدخـلـه في شـؤون الـشـعـوب المسـتـعـمرة! أصبحت بعد الاستقلال شعاراً يحمل مضامين أخرى:

- فهي عند عبيد الغرب: التحرر من سيطرة الأفكار الإسلامية.
- وهي عند فريق من الفقراء:التحرر من تسلط الأغنياء والرأسماليين.
- وهي عند الأقليات:التحرر من سلطان الأغلبية ، وهكذا..

وفي ظل الغموض الذي يحيط بهذا الاصطلاح الفضفاض الذي فتن - ومازال يفـتن - الناس تـسـربت إلى حياتنا مؤثرات نعاني أشد المعاناة من أجل التخلص منها، وانقـلـب مـعـنـى الحرية في كثير من الأحيان إلى ضده، وتقلص وانحسر في أحيان أخرى لينعم بخيره فرد أو عائلة أو طبقة صغيرة أو نخبة هي التي تملك حق فهم معناه وشرحه وتفسيره ، ووضع الحواشي والتعليقات على متنه ؛ أما غيرها ممن هو خارج نطاق هذا الأكليروس(1) الزائف فليس له إلا حق السمع والطاعة.

من قال: إن حكم الكنائس في العصور الوسطى قد ولى بعد الثورة الفرنسية إلى غير رجعة؟! لقد انتقل عبر ما يسمى بعملية "تناسخ الأرواح" لتحل روحه في عصر ما بعد الاستعمار!!

إن من بـركـات الـحـريـة الـتـي نعـيش فيها أن يضرب بحجاب صفيق على كل الحوادث والشـخـصـيات الـتي كان لها أثر لا يمكن إنكاره في تحرر الشعوب من شرور المستعمرين الغاصبين، وإبقائها في الظل، وبتر كل ما يتعلق بها من الكتب والدوريات، في حين توجه الأنظار والأفكار إلى شخص واحد من أجل غرس حقيقة: أن الأمة قد خلقت من أظافر قدميه، وخيراتها نبعت من تحت أخمصيه!

إن أمـة يـقـودهــا فرد يقـنع نفـسه بذلك، ويصدق تملق المتملقـين الذين يخدعونه بتملقهم الرخيص هذا، فيسلطهم على رقاب العباد والبلاد، لـهـي أمة مقضي عليها بالفشل في أي مجال تخوض.

آخر ما حملته الأخبار: أن الحكومة التونسية قد أعادت الاعتبار إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي بعد أن أسدل عليه ستار كثيف من التجاهل المتعمد والإهمال المفروض طيلة حكم بورقيبة.
والـشـيـخ عـبد الـعـزيـز الـثـعالبي (1874-1944) زعيم تونسي، وخطيب، وكاتب، أبرز مناهضي الاستعمار الفرنسي، نفـته فرنسا من تونس، فـعـاش مـتـنـقـلاً بين مصر وسورية والعراق والحجاز والهند، مشاركاً في الحركات الوطنية، مقاوماً الاستعمار الفرنسي، عاملاً على التعاون بين حركات التحرير في بلاد المغرب العربي.
ناوأه بورقيبة وأنصاره العداء لأنه أراد الحفاظ على هوية تونس العربية الإسلامية ، بينما أراد هؤلاء ربطها بالغرب ، وبفرنسا خاصة ، وعمل بورقيبة خلال حكمه على محو آثار الشيخ الثعالبي وتصفية دوره من كتب التاريخ ، بل أصبح يتهكم عليه كثيراً في خطبه.
ما الجريمة التي اقترفها الشيخ الثعالبي فدعت الحاكم السابق أن يصب عليه جام سفهه وغضبه؟ ليست إلا اعتباره تونس بلداً عربياً إسلامياً ، وليس ولاية من ولايات فرنسا ، ولا تربطها بأوربا أية صلة.
ليس الغرض من الحديث عن الشيخ الثعالبي باعتباره فرداً ؛ ولكن الهدف الإشارة إلى ما يمثله من قيم وفكر وتوجه ، وكذلك ليس القصد هنا شن هجوم على حاكم تونس السابق بعد أن جرد من سلطانه ، واستراح الناس من هَيْله وهيلمانه - فهذا متروك للتاريخ الذي احتكره لنفسه قرابة أربعين عاماً -، وإنما القصد: الوصول إلى ما كان يمثله من أفكار " العلمانية المصنَّعة " ، والحرية " حرية بطانته" التي ربطت بلداً عربياً إسلامياً ربطاً متعسفاً بالغرب ، وحولته إلى منتجع يعيث به هؤلاء فساداً ، بينما عاش التونسي أزمات خانقة، ليس له من الأمر شيء ، إلا أن ينام ويصحو على أخبار دمى يتلاعب بها ذاك الأفاك العابث الأثيم.
كذلك لم نشر إلى هذه الحادثة إلا إشارة؛ لأنها تمثل ظاهرة في تاريخنا الحديث في كثير من البلاد الإسلامية: يُعلل الناس بأكاذيب ، وتتلى على أسماعهم أباطيل فترة تطول أو تقصر ، ثم يأتي الله بأمره،((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ)).
(1) - الأكليروس: طبقة رجال الدين عند النصارى الذين لهم الحق في تفسير الأناجيل.

وقفه مع آية
((إنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

ويُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً))

[الإسراء:9]

... ومن هدي القرآن الذي هو أقوم؛ هديه إلى أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين، فما خيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطلٌ لا أساس له ، والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهـمـية في دنـيـا أو ديـن، ولكن ذلك الـتـقـدم في حدود الدين، والتحلي بآدابه الكريمة، وتـعـالـيـمه السـمـاوية، قال تعالى:((وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ))، وقال:((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ)) يدل على الاستعداد لمكافحة العدو في حدود الدين الحـنـيف، وداود مـن أنـبـيـاء "سورة الأنعام" المذكورين فيها في قوله تعالى ((ومِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ))، وقد قال تعالى مخاطباً لنبينا -صلى الله عليه وسلم- وعليهم بعد أن ذكرهم: ((أُوْلَئِكَ الَذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)).

وقد ثبت في"صحيح البخاري" عن مـجـاهــد أنه سأل ابن عباس- رضي الله عنهما-: من أين أخذت السجدة في "ص"؟، فـقـال: أو مـا تـقــرأ: ((ومِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ... أُوْلَئِكَ الَذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ))، فسجدها داود ، فسجدها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فدل ذلك على أنا مخاطبون بما تضمـنـتـه الآيــة مما أمر به داود. فعلينا أن نستعد لكفاح العدو مع التمسك بديننا ، وانظر قوله تعالى: ((وأَعِـدُّوا لَـهُـم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)) ، فهو أمر جازم بإعداد كل ما في الاستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت. فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية ، وعدم الجمود على الحالات الأُول إذا طرأ تطور جديد ، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين.

"أضواء البيان" - للشيخ الشنقيطي (3 / 396 - 397).

هجر المبتدع

الشيخ بكر أبو زيد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شــريــك لــه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تــبــعـهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فإنه في حال من انفتاح ما كان يخشاه النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمته في قـوله -عليه الصلاة والسلام-:(أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله لا

الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)(1).
وانفتاح العالم بعضه على بعض ، حتى كثرت في ديار الإسلام الأخلاط، وداهمت الأعاجم العرب ، وكثر فيهم أهل الفرق ، يحملون معهم جراثيم المرض العقدي والسلوكي.
وفي وسط من تداعي الأمم كما قال -صلى الله عليه وسلم-:(يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق...)(2) ، وأمام هذا: غياب رؤوس أهل العلم حيناً ، وقعودهم عن تبصير الأمة في الاعتقاد أحياناً ، وفي حال غفلة سرت إلى مناهج التعليم بضعف التأهيل العقدي ، وتثبيت مسلمات الاعتقاد في أفئدة الشباب ، وقيام عوامل الصد والصدود عن غرس العقيدة السلفية وتعاهدها في عقول الأمة.
في أسباب تمور بالمسلمين موراً ، يجمعها غايتان:
الأولى: كسر حاجز "الولاء والبراء" بين المسلم والكافر، وبين السني والبدعي، وهو ما يسمى في التركيب المولَّد باسم:"الحاجز النفسي"، فيكسر تحت شعارات مضللة:"التسامح" "تأليف القلوب" "نبذ: الشذوذ والتطرف والتعصب"،" الإنسانية"(3)، ونحوها من الألفاظ ذات البريق، والتي حقيقتها "مؤامرات تخريبية" تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميز وعلى الإسلام.
الثانية: فُشو " الأمية الدينية " حتى ينفرط العقد وتتمزق الأمة ، ويسقط المسلم بلا ثمن في أيديهم وتحت لواء حزبياتهم ، إلى غير ذلك مما يعايشه المسلمون في قالب: " أزمة فكرية غثائية حادة " أفقدتهم التوازن في حياتهم ، وزلزلت السند الاجتماعي للمسلم " وحدة العقيدة "، كلٌّ بقدر ما علَّ من هذه الأسباب ونهل ، فصار الدخل ، وثار الدخن وضعفت البصيرة ، ووجد أهل الأهواء والبدع مجالاً فسيحاً لنشر بدعهم ونشرها ، حتى أصبحت في كف كل لافظ ، وذلك من كل أمر تعبدي محدث لا دليل عليه " خارج عن دائرة وقف العبادات على النص ومورده ".
فامتدت من المبتدعة الأعناق ، وظهر الزيغ ، وعاثوا في الأرض الفساد ، وتاجرت الأهواء بأقوام بعد أقوام، فكم سمعنا بالآلاف من المسلمين وبالبلد من ديار الإسلام يعتقدون طرقاً ونحلاً محاها الإسلام.
إلى آخر ما هنالك من الويلات ، التي يتقلب المسلمون في حرارتها ، ويتجرعون مرارتها ، وإن كان أهل الأهواء في بعض الولايات الإسلامية هم: مغمورون، مقموعون، وبدعهم مغمورة مقهورة ، بل منهم كثير يؤوبون لرشدهم ، فحمداً لله على توفيقه، لكن من ورائهم سرب يحاولون اقتحام العقبة ، لكسر الحاجز النفسي وتكثيف الأمية الدينية في ظواهر لا يخفى ظهور بصماتها في ساحة المعاصرة وأمام العين الباصرة.

والشأن هنا في تذكير المسلم بالأسباب الشرعية الواقعية من " المد البدعي ، واستشرائه بين المسلمين ، والوعاء الشامل لهذه الذكرى":
الـقـيــام بواجب الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة ، والتبصير في الدين ، وتخليص المنطقة الإسلامية من شـوائــب الـبـدع والـخـرافات والأهواء والضلالات ، وتثبيت قواعد الاعتقاد السلفي المتميز على ضوء الكتاب والسنة في نفوس الأمة.
ومن أبرز معالم التميز العقدي فيها ، وبالغ الحفاوة بالسنة والاعتصام بها ، وحفظ بيضة الإسلام عما يدنسها:
نــصـب عـامــل "الولاء والبراء" فيها، ومنه: إنزال العقوبات الشرعية على المبتدعة، إذا ذكروا فلم يتذكروا، ونهوا فلم ينتهوا، إعمالاً لاستصلاحهم وهدايتهم وأوبتهم بعد غربتهم في مهاوي البدع والضياع، وتشييداً للحاجز بين السنة والبدعة، وحاجز النفرة بين السني والبدعي، وقمعاً للمبتدعة وبدعهم، وتحجيماً لهم ولها عن الفـسـاد في الأرض، وتـسـرب الزيغ في الاعتقاد، ليبقى الظهور للسنن صافية من الكدر ، نقية من علائق الأهواء وشوائب الـبـدع، جـاريـة على مـنهاج النبوة وقفو الأثر، وفي ظهور السنة أعظم دعوة إليها ودلالة عليها، وهذا كله عين النصح للأمة.
فالبصيرة إذاً في العقوبات الشرعية للمبتدع: باب من الفقه الأكبر كبير ، وشأنه عظيم ، وهو رأس في واجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأصل من أصول الاعتقاد بدلالة الكتاب والسنة والإجماع ، ولهذا تراه بارز المعالم في كتب الاعتقاد السلفي "اعتقاد أهل السنة والجماعة".
كل هذا تحت سلطان القاعدة العقدية الكبرى "الولاء والبراء" (4) التي مدارها على الحب والبغض في الله تعالى ، الذي هو " أصل الدين " وعليه تدور رحى العبودية.
وهذه العقوبات الشرعية التي كان يتعامل بها السلف مع أهل البدع والأهواء ، متنوعة ومتعددة في مجالات:
الرواية ، والشهادة ، والصلاة خلفهم وعليهم ، وعدم توليتهم مناصب العدالة كالإمامة والقضاء ، والتحذير منهم ومن بدعهم وتعزيرهم بالهجر ، إلى آخر ما تراه مروياً في كتب السنة والاعتقاد، مما حررت مجموعه في " أصول الإسلام لدرء البدع عن الأحكام".
وما في هذه الرسالة هو في خصوص "الزجر بالهجر للمبتدع ديانة" (5) لأهميته في:التميز، والردع، وعموم المطالبة به، ولأنه أصبح في الغالب من "السنن المهجورة"، تحت الـعـوامل المذكورة في صدر هذه المقدمة، لهذا رأيت إفراده بهذه الرسالة إحياءً لهذه السنة ، ونشراً لها بضوابطها الشرعية التي تحفظ للمبتدع كرامته مسلماً، وتكشف بدعته بوصفه مبتدعاً، ما لم تكن

مكفرة كبدعة: القدر (6) ، والباب ، والبهاء... وتحفظ على أهل السنة والجماعة كف بدعته ومداخلتها في صفوفهم ، وهذا واجب باتفاق المسلمين.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في بيان وجوب النصح لصالح الإسلام والمسلمين:
"ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة ، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة ، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين ، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ ؛ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل ، فبيَّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً"ا.هـ (7).
هذا وما سيمر نظرك عليه في هذه الرسالة ، فإنه ينتظم في جملته:أحكام الهجر الشرعي للكافر والمبتدع الضال ببدعته والعاصي المجاهر بمعصيته ، لكن صار نسج الكلام وجلب الروايات والنقول في " هجر المبتدع "، لأن ضرره أعظم وخطره أشد ، كما مر بك في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- ، ويأتي له نظائر إن شاء الله تعالى.
وتجد رؤوس المعتبرات في هذه الرسالة على ما يلي:
1 - مقاصد الإسلام في الهجر.
2 - أنواعه.
3 - شروطه.
4 - صفته.
5 - منزلة هجر المبتدع من الاعتقاد.
6 - الأدلة العلمية من الكتاب والسنة والإجماع.
7 - إعمال الصحابة فمن بعدهم له في مواجهة المبتدع.
8 - ضوابط الهجر في الشرع.
9 - عقوبة من والى المبتدعة.
10 - التحذير من إشاعة البدعة.
فاللهم "ارزقنا هدياً قاصداً" (8) و "جنِّبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء".

المبحث الأول

مقاصد الإسلام في الهجر:

فوائد الهجر للمبتدع التي قصدها الشرع كثيرة ، منها ما يعود إلى الهاجرين القائمين بهذه الوظيفة الشرعية العقدية ، ومنها ما يعود إلى المهجور وإلى عامة المسلمين ، وإلى حماية السنن من البدع والأهواء ، فالهجر الشرعي ومنه "هجر المبتدعة": عقوبة زجرية متعددة الغايات والمقاصد الشرعية المحمودة ، وهي على ما يلي:

1 - أن "الزجر بالهجر" عقوبة شرعية للمهجور ، فهي من جنس الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ، وأداء لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تقرباً إلى الله تعالى بواجب الحب والبغض فيه سبحانه وتعالى.

2 - بعث اليقظة في نفوس المسلمين من الوقوع في هذه البدعة وتحذيرهم.

3 - تحجيم انتشار البدعة.

4 - قمع المبتدع وزجره ، ليضعف عن نشر بدعته ، فإنه إذا حصلت مقاطعته والنفرة منه بات كالثعلب في جحره.

أما معاشرته ومخالطته ، وترك تحسيسه ببدعته: فهذا تزكية له ، وتنشيط وتغرير بالعامة ، إذ العامي مشتق من العمى، فهو بيد من يقوده غالباً ، فلابد إذاً من الحجر على المبتدع استصلاحاً للديانة وأحوال الجماعة ، وهو ألزم من الحجر الصحي لاستصلاح الأبدان.

وبعد أن نقل الشاطبي -رحمه الله تعالى- بعض الآثار في النهي عن توقير المبتدع، قال:

" فإن الإيواء يجامع التوقير ، ووجه ذلك ظاهر ، لأن المشي إليه والتوقير له تعظيمٌ له لأجل بدعته ، وقد علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من هذا ، كالضرب والقتل ، فصار توقيره صدوداً عن العمل بشرع الإسلام ،. وإقبالاً على ما يضاده وينافيه ، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به والعمل بما ينافيه.

وأيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام:

أحدهما: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير ، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس ، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره ، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وقر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على انتشار الابتداع في كل شيء.

وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن ، وهو هدم الإسلام بعينه... " ا. هـ (9).

5 - إعطاء ضمانة للسنن من شائبة البدع ومداخلتها لصفاء السنن. والله أعلم.

المبحث الثاني

أنواع الهجر: وهى ثلاثة:

الأول: الهجر ديانة ، أي:" الهجر لحق الله تعالى " وهو من عمل أهل التقوى ، في: هجر السيئة ، وهجر فاعلها ، مبتدعاً أو عاصياً.
وهذا النوع من الهجر للفجار على قسمين:
1 - هجر ترك: بمعنى هجر السيئات ، وهجر قرناء السوء الذين تضره صحبتهم إلا لحاجة أو مصلحة راجحة.
قال الله تعالى: ((والرُّجْزَ فَاهْجُرْ)) ، وقال سبحانه: ((واهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً)).
وقال تعالى: ((وإذَا رَأَيْتَ الَذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وإمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (10).
وقال تعالى: ((وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ويُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إنَّكُمْ إذاً مِّثْلُهُمْ)) ، وفي الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:(المهاجر من هجر ما نهى الله عنه).
2 - هجر تعزير: وهذا من العقوبات الشرعية التبصيرية التي يوقعها المسلم على الفجار كالمبتدع ، على وجه التأديب ،في دائرة الضوابط الشرعية للهجر ، حتى يتوب المبتدع ويفيء.
وهذا القسم هو الذي تدور عليه الأبحاث في هذه الرسالة المباركة.
وهذا النوع بقسميه من أصول الاعتقاد ، والأمر فيه أمر إيجاب في أصل الشرع ، ومباحثه في كتب السنن والتوحيد والاعتقاد وغيرها.

تنبيه: في هجر الكافر:

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-:
"قال الطبري: قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي ،وقد استشكل كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعاً ولا يشرع هجران الكافر ، وهو أشد جرماً منهما لكونهم من أهل التوحيد في الجملة.
وأجاب ابن بطال: بأن لله أحكاماً فيها مصالح للعباد وهو أعلم بشأنها وعليهم التسليم لأمره فيها، فجنح إلى أنه تعبد لا يعقل معناه.
وأجاب غيره: بأن الهجران على مرتبتين: الهجران بالقلب ، والهجران باللسان ، فهجران الكافر بالقلب وبترك التودد والتعاون والتناصر لا سيما إذا كان حربياً ، وإنما لم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره ، بخلاف العاصي المسلم فإنه ينزجر بذلك غالباً ، ويشترك كل من الكافر والعاصي في مشروعية مكالمته بالدعاء إلى الطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما المشروع ترك المكالمة بالموادة ونحوها " ا.هـ(11).
والظاهر ما قاله النووي -رحمه الله تعالى- من أن للمسلم هجر الكافر من غير تقييد (12)، لما هو معلوم من الأصل الشرعي العام من تحريم موالاة الكفار ،والتحذير من موادتهم وتعظيم ما يؤدي إلى ذلك ، ونصب الأسباب

الموصلة إلى ظهور المسلم عليهم كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:" لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ،فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه" رواه أحمد ومسلم وغيرهما. والنصوص في تحريم موالاة الكافرين من الكتاب والسنة وآثار السلف كثيرة مشهورة، والله أعلم (13).

-يتبع -

الهوامش:

1- انظر: فتح الباري 6 / 58 2 ، 263.
2- السلسلة الصحيحة برقم / 956 ، وصحيح الجامع الصغير برقم / 8035.
3- عن "مذهب الإنسانية" انظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب: 589 - 604 ، وفي: معجم المناهي اللفظية ، حرف الألف ، ومقدمة طه العلواني لكتاب: النهي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار ، لمصطفى الورداني.
4- هذه القاعدة مبحوثة في كتب الاعتقاد ، وقد أفردت بمؤلفات منها: تحفة الإخوان... للشيخ حمود التويجري ، سبيل النجاة ، للشيخ حمد بن عتيق ، الولاء والبراء ، للشيخ محمد سعيد القحطاني ، الموالاة والمعاداة للشيخ محمد الجلعود ، الولاء والبراء للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، وخمستها مطبوعة.
5- للسيوطي رسالة باسم (الزجر بالهجر) ولم أقف عليها ، وللشيخ محمد الزمزمي بن محمد الصديق الغماري رسالة باسم:" إعلام المسلمين بوجوب مقاطعة المبتدعين والـفـجـار والـظـالـمـيـن" طـبـعـت بـتطوان بـلا تاريخ ، رد بها على أخيه عبد الله في رسالته: (القول المسموع في بيان الهجر المشروع)، وكان الزمزمي قد قاطع آخاه عبد الله لما لديه من الدعوة إلى القبوريات وإلى بناء المساجد على القبور ، وخدمة زاوية أبيه ، في سلسلة يطول ذكرها من البدع المضلة ، فبلغت الصورة الغضبية مبلغها من عبد الله فألف رسالة: (النفحة الزكية) هجر فيها دلالة النصوص على الهجر ، وخرق إجماع الأمة عليه ، وهي من الباطل الذي لا يلتفت إليه ، والله الهادي إلى سواء السبيل.
6- ما أحسن ما قاله الحربي أبو اسحاق -رحمه الله تعالى-: من لم يؤمن بالقدر لم يتهنَّ بعيشه. انظر: ولاية الله للشوكاني /396.
7- الفتاوى 28 /231 232.
8- اقتباس من حديثين مرفوعين رواهما ابن أبي عاصم في "السنة" برقم / 13 ، 95 ، وانظر: ظلال الجنة 1/12 ، 46.
9- الاعتصام 1 / 114.

10- الفتح 28 / 211 - 213 ، 216 - 217 ، 203، فتح الباري 10 / 497.
الترغيب والترهيب 3/ 454 - 462 ، الدرر السنية 4 / 216 -208.
11- فتح الباري 10 / 497.
12- فتح الباري 10 / 496.
13- انظر: تحفة الإخوان، فهو مهم في هذا ، والدرر السنية 4 / 135 ، 140 - 143، 20 ، 208 - 216 ، ومن النظر فيها يتبين أن ما استشكله الطبري غير مشكل والله أعلم.

خواطر في الدعوة

رجل الفطرة

محمد العبدة

يـرجـع الـداعــيـة - في بـحـثـه الدؤوب عن أصحاب الفطر السليمة الذين لا يحملون بين جوانحهم عوامل الضعف والهزيمة النفسية - إلى سيرة مُعلِّم الخير محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ليستلهم منها معالم تنير له الطريق.

ومن الدروس المستفادة من السيرة النـبـوية أن الله سبحانه وتعالى بعث أكرم خلقه من بيئة لا هـي بالحـضـريـة المـدنـيـة المـغـرقـة في الترف وفنون النعيم والملذات ، ولا هي بالبدوية الـجـافـيـة البعيدة عن التمدن والعمل المشترك ، فالأسر القرشية لم تصل بعد إلى تعقيدات المـدنـية، ولـم تـأسـرهـا الـشـكـلـيـات والمظاهر، ولا يـزال شـبـاب قـريش يألفون الخشونة والفروسية، رغم عيشهم في بيئة تجارية مبتعدين عن خلق المذلة والمراوغة التي يألفها من استحكمت فيه عوائد الترف ، أو عاش تحت قهر الاستبداد والبحث عن لقمة العيش في بيئة مادية لا رحمة فيها ولا شفقة.

ولا نعني من هذا أنه لا بد من العيش في قرى أو مدن صغيرة -كمكة عند البعثة- ، فهذه سطحية في التفكير وسذاجة ، ولكن المقصود هو: العيش في أجواء الفطرة السليمة ، أجواء التخفف من القيود التي تكبل المسلم عن الانطلاق في دعوته ، هذه القيود التي لم يأت بها شرع ولا حكم بها عقل ، ولكن دواعي الانحطاط هي التي تهتف بها.

فالدعوة لا يتم أمرها ولا يقوى عودها إلا برجال تعودوا الخشونة ، تتجافى جنوبهم عن الانغماس في النعيم ، كلما سمعوا هيعة طاروا إليها.

والرجل الذي عاش حياته راضياً بالقليل ، بل خائفاً من ذهاب هذا القليل ، عاش يسمع وصايا والدته تحذره وتخوفه من أي عمل عدا العمل الذي سيعيش منه ، هذا الرجل قد انغرس في نفسه الضعف ، وأصبح بعيداً جداً عن المغامرة وركوب المصاعب ، فهو دائماً يخاف من المجهول ، يخاف من المستقبل ، يفكر دائماً في الاحتياطات اللازمة لتدبير (العيش).

هذا الرجل الذي يحمل أتعاب مدينة مرت عليها قرون وهي تعيش تحت قهر كل متغلب، وتألف كل قادم، هو لا شك يشعر بضآلة نفسه وقصور همته، ولا يسمح لتفكيره بأن يخطر له ذكر الأعمال الكبيرة والمشروعات العظيمة، بل إذا حمل فكرة قوية يمسخها إلى (نصف) فـكـرةٍ يـؤوِّلـهـا حـتـى تـتـمـشى مع ضعفه وانحطاطه، فهو دائماً في منتصف طريق ونصف نهضة، لا هو بالبادىء ،ولا هو بالمنتهي ، فإذا تعلم ودرس أصبح نصف دارس أو نصف طبيب ، وإذا كان موظفاً يحس أنه جزء صغير من آلة ضخمة ، فمثل هذا لا يساعد على التحفز لعمل كبير ، فهو رجل (الحد الأدنى).

ونحن نريد رجل الفطرة الذي يملك حيوية الاندفاع والتضحية ، فيه بساطة وسمو ، فإذا عقل الإسلام وفقهه فقد جمع (نوراً على نور) ،وهو الرجل المؤهل للتغيير.

حق الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أمته

د. سليمان العايد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فـلا مـضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد:

فإن الله خلق البشرية لـغـاية واضحة ، وهي غاية شريفة بمقدار ما يحققها الإنسان ترتفع منزلته عند الله، هذه الغاية هي:عبادته وحده كما قال تعالى: ((ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ)) ، وقال تعالى: ((ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ))، وقد كانت بداية البشرية التوحيد؛ فكانت عليه حقبة من الزمن ثم ضلت عنه، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه مسلم في "صحيحه" ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:(يقول الله: "إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم"). قال ابن عباس: "بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على التوحيد، ثم طرأ الشرك عليهم بعد إيمان، وأرسل الله الـرسـل للـبشـرية ليردوهم إلى الحق ويذودوهم عن حياض الشرك،((قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّـنِّـي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)).

وكان مبدأ الشرك من الغلو فـي الصالحين وإنزالهم فوق منزلتهم ، واعتقاد أن الخير يأتي عن طريقهم ، وأنه لا يُوصَل إلى الله إلا بهم. قال المفسرون في تفسير قوله تعالى: ((وقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وداً ولا سُـوَاعـاً ولا يَـغُـوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً)) قالوا: "هذه أسماء رجال صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم: لو

صورناهم لكانوا عوناً لنا على العبادة ، ولذكرتنا صورهم فعل الخير ، فصوروهم، فـلـمـا انقرض ذلك الجيل ، وجاء مَن بعدهم:أوحى إليهم إبليس بأن آباءهم كانوا يعبدون تلك الصور ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم".
وهذا يدلنا على أن مبدأ الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما كان بسبب الغلو في بعض من يظن بهم الصلاح.
وقد حـذر نـبـي هذه الأمة ، محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- أمته أن تقع فيما وقعت به الأمم السابقة من الغلو والإطراء الذي لا تسيغه الشريعة، ولا يقبل به عقل سليم ولا يقره منطق قويم ، حذرنا بقوله فيما رواه عنه عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"لا تـطـرونـي كـمـا أطـرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله" متفق عليه. وقد كان من شأن النصارى أنـهـم قالوا في عيسى: هو الله ، وبعضهم قال: هو ابن الله ، وبعضهم قال: هو ثالث ثلاثة ، كـمـا حـكـى الله عنهم تلك الأقوال ؛ ورد عليهم قولهم ، فقال: ((وإذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ولا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي ورَبَّكُم)).
وقد غلا إخوانهم اليهود من قبل مثل هذا الغلو حين قالوا: عزير ابن الله ، كما قال تعالى عنهم: ((وقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)).
وقد جاء التحذير عاماً عن الغلو في كل شيء ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو" رواه أحمد والترمذي وابن ماجه. وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه عنه ابن مسعود: "هلك المتنطعون ، قالها ثلاثاً"رواه مسلم. وقد أخبر رسول الهدى أن هذه الأمة ستقلد الأمم السابقة فقال:"لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " متفق عليه.
وقد كان من متابعة الأمم السابقة: الغلو في الصالحين والأنبياء ، ومن أمثلة ذلك: غلو بعض الناس بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، فيعتقد أنه يعلم الغيب كما قال القائل:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللـوح والقلم

وفات هؤلاء قوله تعالى: ((ولَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ ومَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)). ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يــدري مــتـى وقـت الـسـاعــة كما جاء في حديث جبريل- عليه السلام-.

وبعضهم يعبد الله ومحمداً ، فيصرفون له شيئاً من العبادة ، ويجعلونه نداً لله ، وبعضهم يقول:
إن الله خلق آدم وجميع المخلوقات من أجل الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-.
وبعضهم يعتقد أن الأرزاق من كفه -صلى الله عليه وسلم- ، وهذا مناقض لقوله تعالى: ((قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ولا أَعْلَمُ الغَيْبَ ولا أَقُولُ لَكُمْ إنِّي مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحَى إلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ)).
والغلو لا يقف عند حدٍّ ، وإنما يجمعه أنه تجاوز القدر الصحيح ، فالرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- هو محمد بن عبد الله ، رسول الله ، ونبيه ، وعبده ، لا يجوز هذه المنزلة ، وهو سيد ولد آدم ، والشافع لهم يوم الحشر بإذن الله كما قال تعالى: ((قُلْ إنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إلَيَّ أَنَّمَا إلَهُكُمْ إلَهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إلَيْهِ واسْتَغْفِرُوهُ ووَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ)).
وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد"، وكل مسلمٍ يقول: (أشهد أن محمداً عبده ورسوله- وذلك في تشهد الصلاة).
فكون الرسول بشراً لا ينقص من قدره ، ولا يجعلنا نرفض الاقتداء به كما قال المشركون ، ((أبشراً مِّنَّا واحِدًا نَّتَّبِعُهُ إنَّا إذًا لَّفِي ضَلالٍ وسُعُرٍ)) ، بل إن بشريته هي التي تجعل منه القدوة التي نقتدي بها ، والأسوة التي نتأساها ، وقد اختار الله نبيه من خير الناس كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"فأنا خيار من خيار من خيار ". واختاره لأعظم عملٍ ، وهو الرسالة وتبليغ دينه للعالمين ، ((اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)) وقد استغرب المشركون اختياره دون واحد من العظماء ، ((وقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)) ، ورباه الله على أحسن الخلق ، ((وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)).
وقد قام بالبلاغ أتم قيام ، وبلّغ رسالته للعاملين أتم بلاغ ، كما قالت عائشة: "من قال لكم إن محمداً كتم شيئاً مما أوحاه الله فقد أعْظم الفرية ، ولو كان مُخفياً شيئاً لأخفى قوله: ((وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وتَخْشَى النَّاسَ واللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ))". وقد تحمل في سبيل تبليغ دعوته صنوف الأذى ، والاضطهاد ، وكابد المشقات حتى نصره الله وبلغ دينه.
وله -في ذلك -على كل مسلم أجر ، وله على كل مسلم حق ، فما هو حق الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أمته؟ ؛ أهو إطراؤه -وقد نهى عنه-؟ ؛ أم هو المدائح وفيها من الغلو الشيء الكثير؟ ؛ أم هو صرف شيء من العبادة إليه كالاستشفاع والاستغاثة ودعائه من دون الله؟.

إن كل هذا يناقض أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، وقد نهى عنه أشد النهي كما تقدم ، إذن ما هي حقوق الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أمته؟ يمكن أن نجمل تلك الحقوق في أربعة أمور:
1- تصديقه ، والإيمان به، واتباع سنته وطاعته.
2- محبته -صلى الله عليه وسلم- ، ومحبة سنته ، ومحبة ما يحبه.
3 - توقيره وتعزيره.
4 - الصلاة والسلام عليه.
وسنتعرض لهذه الأمور بذكر الأدلة عليها من القرآن والسنة ، فنقول:
1 - تصديقه ، والإيمان به ، واتباع سنته وطاعته ، وهذا هو معنى شهادة:أن محمداً رسول الله ، قال تعالى: ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير)) ، وقال:((ومَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ورَسُولِهِ فَإنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً)).
وقد أمر الله عباده بطاعة نبيه فقال: ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ ولا تَوَلَّوْا عَنْهُ وأَنتُمْ تَسْمَعُونَ)).
وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:"كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى ، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى" رواه البخاري والحاكم.
وقد أمر الله عباده المؤمنين باتباع نبيه ، والاقتداء بسنته ، فقال: ((قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) ، و:((فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وكَلِمَاتِهِ واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)).
ورغَّب في قبول حكمه ، والتسليم لقضائه والرضى بأمره ، ((فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) ،وقد جعل الله عبده محمداً قدوة المؤمنين وأسوة المتأسين ، ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)) [الأحزاب:21] ، وحذر من مخالفته ، والخروج عن أمره ((فَلْيَحْذَرِ الَذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) ،((ومَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيراً)) [النساء:114].
2- محبته -صلى الله عليه وسلم- ، قال -صلى الله عليه وسلم-:"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" رواه الشيخان ، وأخرجا عن أنس أيضاً:"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنجاه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

وقال عمر للنبي -صلى الله عليه وسلم-: "لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إليَّ من نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: الآن يا عمر"، رواه البخاري. "وجاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ،ولكني أحب الله ورسوله ، قال: أنت مع من أحببت" رواه مسلم والبخاري.
ولمحبته -صلى الله عليه وسلم- علامات ، منها: الاقتداء به ، وإيثار شرعه ، وتقديمه على أهواء النفس ، وذكره بالصلاة عليه كما شرع ، ومحبة أصحابه وما يحبه -صلى الله عليه وسلم- كحب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأزواجه مثل ،عائشة التي سُئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"من أحب الناس إليك فقال: عائشة ، قالوا: من الرجال ، قال: أبوها".
3 - تعزيره وتوقيره ، وتعظيم أمره: قال تعالى: ((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا)) [الفتح / 8 - 19] ، وروى مسلم عن عمرو بن العاص قال: (وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا أجلّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه).
وخير تعظيم لرسول الله تعظيم سنته.
4 -الصلاة والسلام عليه: لقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) ، والصلاة من الله: ثناؤه على أنبيائه ، والصلاة من الملائكة:الاستغفار، ومن الناس: الدعاء والتعظيم والتكريم.
والصلاة عليه من أعظم الذكر ، روى الإمام أحمد عن عامر بن ربيعة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:"من صلى عليّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلَّى عليَّ ، فليقلَّ عبدٌ من ذلك أو ليكثر". وروى عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:"إن جبريل أتاني فبشرني: أن الله -عز وجل- يقول لك: من صلى عليك صليتُ عليه ، ومن سلم عليك سلمتُ عليه ، فسجدتُ لله -عز وجل- شكراً".
وروى الترمذي عن ابن مسعود: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:"أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة ". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.
وتتأكد الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في مواضع وأعمال ، منها:

1- إذا ورد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم-، لقوله:"البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ" رواه أحمد وإسماعيل القاضي ، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة" رواه الترمذي وقال: حسن غريب. ومثل هذا الحديث يدل على مشروعية الصلاة عليه كما ذكر ، وقال بعضهم بوجوبها كلما ذكر ، وقال بعض آخر: تجب أول مرة ، وتسن فيما بعد.

2 -الصلاة عليه في المجالس، لقوله -صلى الله عليه وسلم- عن أبي هريرة:"ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة ،فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم".

3- الصلاة عليه عند سماع المؤذن ،لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة" رواه أحمد ومسلم و غيرهما.

4- الصلاة عليه عند دخول المسجد والخروج منه، وعند المرور بالمساجد،"لأنه -صلى الله عليه وسلم- إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال: (اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك) ". وإذا خرج: "صلى على محمد وسلّم ، ثم قال: (اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك) ".رواه أحمد.

ولقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: (إذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبي -صلى الله عليه وسلم-)، رواه إسماعيل القاضي في كتاب"الصلاة".

5- الصلاة عليه في التشهد الأخير ، وهو ركن من أركان الصلاة أو واجب ، وأما الصلاة عليه في التشهد الأول: فهي مستحبة.

6- الصلاة عليه في صلاة الجنائز، فإن من السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب ، وفي الثانية يصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وفي الثالثة يدعو للميت، وفي الرابعة يقول: اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنَّا بعده.

7 - الصلاة عليه بين تكبيرات صلاة العيد، لما رواه إسماعيل ، عن علقمة ، وعن ابن مسعود ، وأبي موسى ، وحذيفة.

8- تستحب الصلاة عليه عند ختم الدعاء ،لقول عمر: "الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك" رواه الترمذي بسند صحيح.

9- يوم الجمعة وليلته يستحب الإكثار فيه من الصلاة عليه ،لقوله -صلى الله عليه وسلم-:"من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، ففيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت - يعنى: وقد بليت؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وقد ذهب الإمامان الشافعي وأحمد إلى وجوب الصلاة عليه والسلام في خطبتي الجمعة. ولا تصح الخطبتان إلا بذلك.

نقد

قراءة في فكر مالك بن نبي
-2-

محمد العبدة

مشكلة الحضارة:

ينطلق فكر ابن نبي من سؤال لا يزال يلح على الـمسلمين منذ أن صدموا بالحضارة الغربية وهى تطرق الأبواب وتدخل من كل المنافذ ، وكان السؤال: ما هي أسباب تقهقر المسلمين؟ وما هي شروط النهضة ليستعيد المسلمون دورهم وفـاعـلـيـتـهم المفقودة وليكونوا شهداء على الناس؟. وكانت الإجابة عن هذا السؤال هي محور كتابات وأقـوال الـذيـن تصدوا لحركة الإصـلاح والنهـوض بالأمة على اختلافهم في القرب أو البعد عن الصواب. بل إن كـثـيـراً منهم كانوا "لا يعالـجـون المرض بقدر ما يعالجون أعراضه" (1) ، وأما الإجابة المتبادرة: (لابد من العودة للدين) فـهـي وإن كـانـت صـحـيحة بلا شك ولكنها بحاجة إلى تفاصيل، فـعـنـدمـا نـدخـل في عمق الموضوع ونبدأ بالعمل سنجد أن هذا المسلم المقتنع بهذا الجواب يحمل بين جـنـبـيـه أمراضاً اجتماعية وفكرية ونفسية تعيقه عن فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً ، ليتحول هـذا الـفـهـم إلـى فعالية للتغيير ، وهذه الأمراض كانت نتيجة تراكم عصور من الابتعاد عن العلم النافع والعمل المثمر ، فالأمة الإسلامية (كالفارس الذي أفلت الركاب من قدميه ولم يسترده بعد ، فهو يحاول أن يستعيد توازنه)(2).

كيف نصوغ عقل هذا المسلم مرة أخـرى حـتـى يـعـود إلـى فعاليته؟ من هنا ينطلق ابن نبي ليقول: "إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية ، ما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها"(3). فالمسلم الآن لا يعيش حالة (حضارة) وإنما هو من بقايا حضارة

وهي الحضارة الإسلامية طبعاً ، ولابد من إدخاله مرة ثانية في دورتها، فالإنسان السابق على الحضارة (العربي قبل البعثة مثلاً) هو مثل جُزَيء الماء قبل وصوله إلى خزان ينتج الكهرباء ، فهذا الجزيء منطو على طاقة مذخورة ، قابل لتأدية عمل نافع ، ولكن هذا الجزيء يفقد طاقته بعد أن استنفذها في إنتاج الكهرباء ، وإذا أردنا أن نعيد له قوته علينا أن نرفعه مرة ثانية إلى مكان عال، أو أن يتبخر ثم يتكثف ليعود جزءاً من طاقة مائية تقع قبل خزان معين" (4).
ورفع المسلم إلى هذا المكان السامق لا يتم إلا بشحنة إيمانية عالية وأخلاق كأخلاق الصحابة، ولا يتم هذا إلا (بتوتر روحي) حسب تعبير مالك.

ماذا يقصد بالحضارة؟

"هـي : مجـمـوع الشـروط الأخـلاقـيـة والـمـادية، التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده - في كل طور من أطواره -وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية" (5) ،
أو: "هـي : إنـتـاج فـكـرة حية تطبع على مجتمع الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ" (6) ، "هي ليست كل شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية في أي مجتمع كان ، ولكنها شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية واستعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة"(7) "،وهي جوهر الوجود للمجتمع، وعكسها هو: الهمجية والعودة إلى البدائية المترحلة" (8)، فالعرب انتقلوا بالإسلام إلى حضارة ، والشعوب الأخرى انتقلت بعقيدة من العقائد إلى حضارة ، فهي قدرٌ محتوم لمجتمع يتحرك لبناء نفسه ولأهداف معينة.
أما العوامل التي تشكل الحضارة ؛ فقد صاغها على شكل المعادلة التالية: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت. ولكن هذه المعادلة لابد لها من مُركّب أو مفاعل ، وهذا المركب هو (الدين) سواء كان ديناً حقاً كالإسلام ، أو بقايا دين أو عقيدة تبلغ عند أصحابها مبلغ الدين في الحماسة لها والتضحية في سبيلها.
"لكي نقيم حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات ، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها" (9) ،فالحضارة لا تستورد ولا تفصل لكل أمة على مقاسها ، وهي التي تلد منتجاتها وليس العكس.
من هذه التعاريف يتبين لنا أن:ابن نبي له تعريفه الخاص للحضارة ، فهي شكل راق من الحياة الأخلاقية والمادية ، وهناك حضارة إسلامية ، حضارة غربية... الخ.
وحسب تعريفه هذا: فإن الصين الحديثة أقلعت باتجاه حضارة ،فقد اجتمع لها الحماس للفكر واستخدام التراب والوقت، وقبْلها اليابان وروسيا... ورغم أهمية هذه المعادلة بالنسبة للعالم الإسلامي الذي لم يقلع بعد. ورغم نقد ابن نبي للحضارة الغربية المادية وجشعها ، فإن رائحة المادية تفوح من هذه

التعاريف، فروسيا أقامت نهضتها الصناعية بعد أن قتلت وشردت الملايين ، وقُل مثل ذلك في الصين ، فهل المهم هو استغلال الوقت والتراب ولو على حساب الإنسانية؟! وأما العنصر الأخلاقي أو الروحي (Ethes) أو ما أسماه (الفكرة الدينية) التي يكون أصلها من السماء ، فقد استوحاها من (كسرلنج) الذي يقول: "وكان أعظم ارتكاز حضارة أوربا على روحها الدينية".
ويعرف الروح الدينية: "ولست أعني بالروح ذلك الشيء الدال على منطق أو عقل أو مبادئ مجردة ، وإنما هو بصفة عامة: ذلك الشعور القوي في الإنسان ، والذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراته وتبليغه لرسالته ، وقدرته الخفية على إدراك الأشياء" (10).
فهذا المفكر يعتبر أن "الروح المسيحية" و"مبدأها الخلقي" هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما أوربا سيادتها التاريخية ، وجاء مالك وأخذ عنه هذه الفكرة ووضعها قاعدة عامة لكل الحضارات ، وأخذ عنه أيضاً وعن (شبنجلر) تقسيمه لدورة الحضارة إلى المراحل الثلاث: روحية ، وعقلية ، وغرائزية ، وإن كان ابن خلدون قبلهم قد قال بمثل هذا ولكنه تكلم على الدول ولم يتكلم عن الحضارات ، ومقولة:" أنه لا توجد حضارة إلا وللدين أثر فيها" صحيحة من حيث الجملة ،وقد قال بها ابن تيمية أيضاً (11) ، ولكن يبقى الإشكال هو: وضع الإسلام موضع المساواة مع أي فكرة دينية واعتباره شعلة أخلاقية تصلح لتركيب المعادلة ، هنا موضع الخطورة والنقص ، فالمفكر (كسرلنج) عندما يتكلم عن النصرانية يتكلم عنها كجزء من الأجزاء المكونة للحضارة الغربية ، ولكن الإسلام دين شامل وليس مبدأ أخلاقياً فحسب ، وقاعدته الأساسية هي التوحيد الذي ينبني عليه الأخلاق والآداب والتشريعات... وما يعتبر فناً رائعاً عند من يكتب عن الحضارات يعتبر حراماً في الإسلام.
والواقع أن ابن نبي غير واضح في هذه المسألة ، فنراه واعياً لمسألة الشمولية عندما يعتبر العصر الراشدي هو النموذج دائماً وتعاطفه وتأييده للحركات الإسلامية، مثل: حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وحركة جمعية العلماء في الجزائر ، وربما يكون ضعفه في العلوم الشرعية هو الذي جعله يقع في أخطاء توحي بعدم الشمولية، وخاصة في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية.
ومع ذلك فإن طرحه لمشكلة الحضارة بمعناها الواسع هو من الأهمية بمكان ، ولذلك سنمضي معه في وقفته الطويلة عند هذا الموضوع.
إن ارتفاع المسلم إلى مستوى (حضارة) "فيتعلم كيف يعيش في جماعة ، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية" (12) ، ويتعلم كيف يكون لبنة في (البنيان المرصوص)، هذا الارتفاع لابد منه وهو المطلوب الآن ، بينما نرى في الواقع أن المسلم الذي لا ينقصه الإخلاص لا يستطيع مجابهة مشاكله وكيف يحلها ، لأنه تعلم وأخذ شهادات مدرسية ولكنه

لم يتثقف ، ولم يتشرب من بيئته في المنزل والمدرسة كيف يكون فعّالاً ، وكيف يقوم بأعمال مشتركة مع الآخرين ، والإسلام عندما رفع العرب إلى مستوى (حضارة) عدّل من طباعهم حتى تكون وسطاً ، ووضعهم بين حدّي الوعد والوعيد ، وعدل من غرائز الإنسان ولم يكبتها (حرّم الزنا وشجع الزواج) ؟، وهكذا دخل العربي وغير العربي في حضارة الإسلام ، وأصبحت شخصية المسلم شخصية سوية ليس فيها عُقد نفسية أو اجتماعية ، وعندما عُزل خالد بن الوليد- رضي الله عنه- عن قيادة الجيوش في الشام لم يُحدث عزله أي مشكلة ، ولو حصلت هذه الحادثة بعد بضعة عقود من السنين لزلزلت الأرض. والمسلم الذي هو (خارج من حضارة) -كما يعبر مالك بن نبي- يتصرف بأنانية مفرطة ، قد تضخمت عنده (الأنا)؛ فلا يرى إلا نفسه ولا يهتم إلا بمصلحته الخاصة ، ولا يستطيع أن يقوم بعمل تعاوني مع غيره،وإذا ذهبت إلى منزل هذا المسلم (الطيب) ستجد آثار تضييع المال ودون قصد منه في كثير من الأحيان ، فأولاده يحطمون كل شيء ، وبقايا الطعام تتناثر فوق السجاد الفاخر ، والأم الجاهلة تنظر إليهم وكأن شيئاً لم يكن ، ولأنه لم يرتب أموره الاقتصادية تذهب أمواله إلى أصحاب المصانع في الغرب والشرق لتكون عوناً لهم على المسلمين ، مع أنه يعلم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- نهانا عن "إضاعة المال". وعندما أراد بلد كأندونيسيا النهوض باقتصاده استدعى الخبير المشهور (شاخت) ، ولكن خطط هذا الخبير لم تنجح في أندونيسيا ونجحت في ألمانيا الغربية، والسبب هو:أن الشعب الأندونيسي لم يرق بعد إلى مستوى (حضارة).

وعندما يتم استيراد الأجهزة الحديثة من أفضل ما أنتجته التقنية الغربية لا يستفاد منها كثيراً في بلادنا، لأنه لا يوجد جو اجتماعي ثقافي يحيط بها ويحفظها، فالنظم الاستبدادية جعلت العقول العلمية تهاجر إلى الغرب. هذا ما يقصده مالك بن نبي عندما يبدأ ويعيد في موضوع الحضارة ، وأن المسلم لا يعيش ولا يتنفس الثقافة الملائمة له ، وإنما يحمل أمراض بيئته المتخلفة وهو لا يشعر، ونحن نوافقه من هذا الجانب ، ولذلك سنبدأ بعرض بعض المعوقات التي يراها مانعة من دخول المسلم في (بادرة حضارة) وتعرقل مساعيه للانطلاق والنهوض:

القابلية للاستعمار:

عندما يستعرض مالك بن نبي التاريخ الإسلامي يقسمه إلى فترات ثلاث:

1- الفترة الروحية التي دخل المسلمون فيها إلى حضارة إسلامية: وتبدأ ببداية البعثة النبوية وتنتهي عند معركة صفين ، وتتميز هذه الفترة "بأروع صور الزهد والتقشف التي كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- مثلها الأعلى ، كما تتميز بالتضحية من قبل الصحابة مثل: أبي بكر وعثمان وعمر... " (13).

وفي هذه الفترة خضعت كل النوازع للإيمان ، وغابت كل الأنانيات والعصبيات ، واندفع المسلم بكل طاقاته وإمكاناته ، وكانت شبكة العلاقات الاجتماعية على أقوى ما يتصوره إنسان ، وبلغة علم النفس:فإن الفرد يكون في أحسن ظروفه ويعيش التوازن الدقيق بين: الروح والعقل ،أو بين: الروح والمادة.
2- الفترة العقلية: وتمثل أوج ازدهارها المدنية الإسلامية كالفترة الأموية والعباسية الأولى ، وفيها تدون العلوم وتتأسس المدينة ويستبحر العمران- كما يعبر ابن خلدون. "بيد أن العقل لا يملك سيطرة الروح على الغرائز ، فتشرع في التمرد بالتدريج" (14)، وتضعف قليلاً شبكة العلاقات الاجتماعية ولكن المجتمع يستمر قوياً بالاندفاع الأول ؛ حتى يصل لمرحلة تنتهي فيها قوة الاندفاع كمحرك استنفذ آخر قطرة من وقوده ،وتنتهي هذه الفترة بانتهاء عصر دولة الموحدين في المغرب.
3 - مرحلة الغرائز التي تستمر حتى بداية هذا القرن: حيث يحاول العالم الإسلامي النهوض، وفي هذه الفترة تتغلب الغرائز الفردية والتفكك الاجتماعي ، ويعيش المسلم على هامش التاريخ ، والمجتمع مكوَّن من أفراد لا ينقصهم التدين في كثير من الأحيان ولكنه تدين فردي ، فهو يحاول إنقاذ نفسه في الآخرة، ولكن لم يعد يملك التماسك الاجتماعي وتسخير ما خلق الله له لبناء حضارة ، فهم أفراد من بقايا حضارة يحملون بين جنوبهم ما يسميه مالك بن نبي (القابلية للاستعمار)، فالمجتمعات الإسلامية المعاصرة لم تُستعمر إلا لوجود هذه القابلية لديها ، وقد يتعرض بلد من البلدان للاحتلال والغزو ولكنه يقاوم ، أما الاستعمار فهو صفات نفسية في المستَعمِر والمستعمَر ، فهناك فرق بين الاستعمار والاحتلال ، وقد استعمرت بريطانيا بلداً كبيراً كالهند ولكن إقليماً صغيراً كإيرلندا الشمالية استعصى عليها ، وإن بلداً كاليمن لم يدخله الاستعمار ولكنه مصاب بنفس أمراض العالم الإسلامي.
وقبل أن نمضي مع مالك بن نبي في تحليله للفترة الثالثة ، لابد من إبداء تحفظ على هذا التقسيم الحاد للتاريخ الإسلامي الذي يبدو فيه أقرب إلى عقلية المهندس (15) منه إلى عقلية المؤرخ ، فتركيزه على صِفِّين جعل حكمه قاسياً على الفترة التي أعقبتها ، بل وقع في أخطاء تاريخية وشرعية ، والضعف العلمي الذي غلب على الأمة الإسلامية إنما هو بعد القرن التاسع وليس بعد الموحدين مباشرة. وقد عبر ابن خلدون عن هذه الحالة بنبرة الأسى والحزن: "وكأني بالمشرق قد نزل به ما قد نزل بالمغرب ولكن على مقدار ونسبة عمران ، وكأنما لسان السكون ينادي في العالم بالنوم والخمول فأجاب" (16) ، ومجيء دولة قوية كالدولة العثمانية لم يغير من الناحية الحضارية شيئاً ، حتى إذا جاء القرن الثاني عشر الهجري كانت الأمة الإسلامية في غاية الضعف والتمزق. "وأصبحت دوافع الحياة فاترة ،يعبر عنها قول أحدهم عندما يسأل عن مهمة حياته:"نأكل القوت وننتظر الموت" (17).

إن الأمراض الاجتماعية والنفسية التي يركز عليها مالك بن نبي ربما تظهر لبادي الرأي أنها صغيرة وليست هي مشكلة المسلمين الرئيسية ، والجواب على ذلك: أننا حتى لو اعتبرناها صغيرة ولكنها مهمة جداً لأنها كحبات الرمل التي تستطيع إيقاف آلة ضخمة.

الشلل الأخلاقي:

إن أخطر مرض أصاب المسلمين هو الانفصام بين النموذج القرآني والتطبيق العملي ، فقد انعدمت الدوافع الآلية التي حركت الرعيل الأول من الصحابة (18).

ويلخِّصها قول الفرزدق الشاعر للحسين بن علي -رضي الله عنه- واصفاً أهل العراق: "قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية"، وبدأ ضمير المسلم يتهرب من الحقائق المنزلة "وحركة الخوارج والمعتزلة مثال على ذلك" (19)، ولكن هذا المرض ازداد فشواً في مجتمع (ما بعد الموحدين) ،فأصبح المسلم نتيجة لغروره لا يحاسب نفسه ، ولا يعترف بأخطائه ، وأصبحت المعادلة: "بما أن الإسلام دين كامل وبما أنه مسلم ، فالنتيجة أنه كامل ، وبذلك اختلت أي حركة عنده لزيادة الجهد والتقدم" (20).

ونتيجة لهذا الخلل ضعفت الروابط الاجتماعية: "فعالم الأشخاص لا يتألف ضمن منهج تربوي ، يهتم بالأخلاق" (21) ، وهذا التآلف مهم جداً ، قال تعالى: ((لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ((؟ [الأنفال / 63] ، ومبدأ المؤاخاة الذي قام بين المهاجرين والأنصار أصبح من الخطابات السعيدة ، والأخوَّة الإسلامية أصبحت كلاماً للزينة وشعور تحجر في نطاق الأدبيات (22) ، وهذا الضعف يقصد به المجتمع ككل ولا يقصد به كل فرد ، فلا يزال في الأمة (كأفراد) خير كثير ، ولا يزال الناس في الريف أقرب للفطرة.

عدم الفعالية:

وكان من نتائج هذا الانفصام الأخلاقي: أن المسلم يحمل أفكاراً صحيحة ولكنه لا يستطيع تطبيقها في دنيا الواقع ، كفريسة تعرضت للشلل حتى يسهل ابتلاعها ، لأن البيئة التي تحيط به وتغذيه بثقافتها أصبح مثلها الأعلى هو الزهد الأعجمي والصوفية أصحاب المرقعات ، ولا يتمثلون بعمر بن الخطاب أو بعبد الله بن المبارك أو الإمام مالك، "والمسلم في هذه الحالة إنما يغالط نفسه، فيهرب إلى هذه التعلات الصوفية الكاذبة"(23)، وفي المقابل: نجد عند الغربيين أفكاراً قد لا تثبت أمام النقد الموجه لها ولكنهم استخدموها إلى أقصى ما يستطيعون ، مثل: فكرة (التقدم)، والمسلم يحمل القرآن ولكنه لا يستفيد منه كثيراً في التخطيط لنهضة قادمة ، فعقلية ما بعد الموحدين تشله عن الإبداع ، هناك خلل في طريقة تفكيره ، فعندما اكتشف ابن النفيس الدورة الدموية لم يستفد منها المجتمع الإسلامي لأنه لم يكن على المستوى

الثقافي الذي يحيط هذا الاختراع بالرعاية ، والمشكلة: "أن مجتمع ما بعد التحضر يسير إلى الخلف بعد أن انحرف عن طريق حضارته وانقطعت صلته بها" (24).

أمثلة على هذا الخلل:

1- ذهان السهولة (مرض السهولة): يميل المسلم في تقويمه للأشياء إما للغلو فيها أو للحط من قيمتها، ويتمثل هذا في نوعين من الأمراض: فإما أن الأمور سهلة جداً ولا تحتاج إلى تعب وكد فكر ، والحل بسيط ، وإما أن الأمور مستحيلة ، وأبرز مثال على مرض (السهولة):قضية فلسطين ، فقد قيل: إن إخراج اليهود سيتحقق بعد أشهر ، ولو نفخنا عليهم نفخة واحدة لطاروا، ولكنهم في الحقيقة لم يطيروا ، "وهناك من يظن أنه بخطبة رنانة تحل مشاكل المسلمين، وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات لأنه يؤثر السهولة ويكتفي بتفسير سطحي ، وعندما تخطط السياسة طبقاً لمبدأ السهولة فإنها سوف تجتذب إلى تيارها كثيراً من الناس ذوي النوايا الطيبة ، الذين يقدرون الأشياء بناء على سهولات الحاضر لا على صعوبات المستقبل "(25)

وأيسر طريق لأصحاب السياسات الانتهازية أن يستخدموا كلمات مثل: الاستعمار والإمبريالية والوطنية؛ للتغرير بالشعوب ، هذه الكلمات التي "تليق جداً لتشحيم المنحدر حتى يكون الانزلاق عليه نحو السهولة ميسوراً جداً" (26).

2 - ذهان الاستحالة: وقد يحدث العكس، فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزاً، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضخمها عمداً حتى لا يتعب نفسه في الحل ، أو أنه يشعر بضآلة نفسه وصغر همته فيحكم عليها بالاستحالة ، وقد مرت فترة كانت بعض الشعوب تنظر إلى صعوبة إخراج المستعمر من بلادها (27). وقد تجد اليوم بعض المسلمين الذين ينتظرون (معجزة الرجل الوحيد) كأن يأتي صلاح الدين آخر ليوحد المسلمين من جديد ، ويعتقدون استحالة أية محاولة لاستئناف حياة إسلامية.

3- طغيان الأشياء: عندما يكون مجتمع ما في حالة نهوض يجب أن يتحقق الانسجام والتوازن بين هذه العوالم (الأشياء والأشخاص والأفكار) ، ولكن الحقيقة أن النزعة (الكمية) هي المسيطرة ، "فلا يسأل المؤلف عن الموضوع الذي تناوله في بحثه ، وإنما يسأل عن عدد صفحات الكتاب ، وقد يقع المؤلف نفسه في هذه النزعة فيفتخر بأنه أخرج كتاباً من كذا صفحة" (28).

وعندما تريد إحدى المصالح الحكومية تجهيز مقرها: تزوده بعدد خيالي من المكاتب ، بحيث يتعذر توفير المكان اللازم لها ، والموظف الكبير يجب أن يكون في غرفته أربعة تلفونات وخمس أجهزة تكييف ، ومشكلة التنمية تعالج بزيادة الضرائب التي تشل جميع أوجه النشاط الفردي ، وفي هذه الأجواء

يظن الفرد أن (التكديس) هو الحضارة، فيشتري منتجات الغرب بكميات أكثر مما يحتاج له ،"وإذا كان مجتمع ما قبل التحضر فقيراً في عالم الأشياء ، فإن مجتمع ما بعد التحضر مكتظ بالأشياء ولكنها خالية من الحياة" (29).

-يتبع-

الهوامش:

1- مالك بن نبي: شروط النهضة / 2.59.
2- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار / 217.
3- شروط النهضة / 23.
4- المصدر السابق / 106.
5- آفاق جزائرية / 38.
6- مشكلة الأفكار / 49.
7- آفاق جزائرية / 77.
8- فكرة الأفروآسيوية / 85.
9- شروط النهضة / 66.
10- شروط النهضة / 84.
11- شروط النهضة / 84.
12- انظر ما كُتب عن هذا الموضوع في العدد الأول من البيان / 116.
12- ميلاد مجتمع / 88.
13- مشكلة الأفكار / 53.
14- فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام / 414.
15- الذي هو اختصاصه ، فقد تخرج عام1935 مهندساً كهربائياً.
16- مشكلة الأفكار / 43.
17- تأملات / 40.
18- مشكلة الأفكار / 214.
19- وجهة العالم الإسلامي / 114.
20- المصدر السابق / 77.
21- مشكلة الثقافة / 60.
22- وجهة العالم الإسلامي / 46.
23- آفاق جزائرية / 23.
24- مشكلة الأفكار / 43.
25- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة / 27.
26- المصدر السابق / 27.
27- وجهة العالم الإسلامي / 80.
28- مشكلة الأفكار /102.
29- مشكلة الأفكار / 44.

الثبات على دين الله
-2-

محمد صالح المنجد

التربية: التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات .
الـتـربـيـة الإيـمـانـيـة: التي تحيي القـلـب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة ، المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والـسـنـة، والعكوف على أقاويل الرجال .
التربية العلمية: القائمة على الدليل الصحيح ، المنافية للتقليد والإمعية الذميمة.
التربية الواعية: الـتـي تعـرف سـبـيـل المجـرمين، وتدرس خطط أعداء الإسلام، وتحيط بالواقع علماً ، وبالأحداث فهماً وتقويماً ، المنافية للانغلاق والتقوقع على البيئات الصغيرة المحدودة.
التربية المتدرجة: التي تسير بالمسلم شيئاً فشيئاً، تـرتـقـي بـه فـي مـدارج كماله بتخطيط موزون ، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطِّمة.
ولكي ندرك أهمية هذا العنصر من عناصر الثبات ، فلنعد إلى سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونسائل أنفسنا: ما هو مصدر ثبات صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- في مـكـة إبَّـان فـتـرة الاضـطـهـاد؟ كيف ثبت بلال وخباب ومصعب وآل ياسر وغـيـرهـم مـن المستضعفين وحتى كبار الصحابة في حصار الشِّعب وغيره؟ هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة الـنـبـوة ثقَّـلت شخصياتهم؟ لنأخذ رجلاً صحابياً مثل:خباب ابن الأرت -رضي الله عنه- الذي كانت مولاته تُحْمي أسياخ الحديد حتى تحمَر ،ثم تطرحه عليها عاري الظهر فلا يطفئها إلا ودك (شحم) ظهره حين يسيل عليها ، ما الذي جعله يصبر على هذا كله؟ و"بلال" تحت الصخرة في الرمضاء،و"سميَّة" في الأغلال والسلاسل... وسؤال منبثق من موقف آخر في العهد المدني ، من الذين ثبتوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في حنين لما انهزم أكثر المسلمين؟ هل هم مسلمة الفتح الذين خرج أكثرهم طلباً للغنائم ،وحديثو العهد بالإسلام؟ كلا... إن غالب من ثبت هم أولئك الصفوة المؤمنة التي تلقت قدراً عظيماً من التربية على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لو لم تكن هناك تربية تُرى هل سيثبت هؤلاء؟

ثامناً - الثقة بالطريق:

لا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم كان ثباته عليه أكبر... ولهذا وسائل منها:

- استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه ليس جديداّ ولا وليد قرنك وزمانك ، وإنما هو طريق عتيق(1) ،قد سار فيه من قبل من الأنبياء والصديقين والعلماء والشهداء والصالحين ، فتزول غربتك ، وتتبدل وحشتك أنساً ، وكآبتك فرحاً وسروراً ، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

- الشعور بالاصطفاء ، قال الله -عز وجل-: ((الحَمْدُ لِلَّهِ وسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَذِينَ اصْطَفَى)) [النمل:59] ، ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)) [فاطر:32] ،((وكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ويُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ)) [يوسف: 6]... وكما أن الله اصطفى الأنبياء؛ فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء وهو: ما ورثوه من علوم الأنبياء.

ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جماداً ، أو حيواناً ، أو كافراً ملحداً ، أو داعية إلى بدعة ، أو فاسقاً، أو مسلماً غير داعية لإسلامه ، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء؟

ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك ؛ وأن جعلك داعية من دعاة أهل السنة والجماعة من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك؟

تاسعاً - الالتفاف حول العناصر المثبتة:

تلك العناصر التي من صفاتها ما أخبرنا به -عليه الصلاة والسلام-:"إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر"(2).

البحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين ، والالتفاف حولهم معينٌ كبير على الثبات، حتى قال بعض السلف: ثبَّت الله المسلمين برجلين :"أبي بكر" يوم الردة ، و"الإمام أحمد" يوم المحنة.

وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت ، فإخوانك الصالحون هم العون لك في الطريق ، والركن الشديد الذي تأوي إليه؛ فيثبتونك بما معهم من آيات الله والحكمة... الْزمْهم وعِش في أكنافهم، وإياك والوحدة فتخطفك الشياطين.

عاشراً - الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام:

نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر ، حتى لا تزل الأقدام بعد ثبوتها. قال تعالى:((وكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ومَا ضَعُفُوا ومَا اسْتَكَانُوا واللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * ومَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ)) [آل عمران:146-148].

ولما أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يثبت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن ؛ فماذا قال؟

جاء في حديث خباب عند البخاري:"ليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه"(3).
فعرْض أحاديث البشارة بأن المستقبل للإسلام على الناشئة مهمٌّ في تربيتهم على الثبات.

حادي عشر- معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به:

في قول الله -عز وجل-:((لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ)) [آل عمران: 196] تسريةٌ عن المؤمنين وتثبيت.
وفي قوله -عز وجل-: ((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً)) [الرعد:17] عبرةٌ لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له.
ومن طريقة القرآن فضحُ أهل الباطل وتعريةُ أهدافهم ووسائلهم ((وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ)) [الأنعام:55]، حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة ، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام، وكم سمعنا ورأينا حركات تهاوت ودعاة زلت أقدامهم ؛ ففقدوا الثبات لما أتوا من حيث لم يحتسبوا بسبب جهلهم بأعدائهم.

الثاني عشر - استجماع الأخلاق المعينة على الثبات:

وعلى رأسها: الصبر ، ففي حديث الصحيحين:"ما أُعطي أحدٌ قط خيراً وأوسع من الصبر" ،وأشد الصبر: عند الصدمة الأولى ، وإذا أصيب المرء بما لم يتوقع تحصل النكسة ويزول الثبات إذا عُدم الصبر. تأمل فيما قاله ابن الجوزي - رحمه الله-: (رأيت كبيراً قارب الثمانين وكان يحافظ على الجماعة، فمات ولدٌ لابنته، فقال: ما ينبغي لأحدٍ أن يدعو ، فإنه ما يستجيب. ثم قال: إن الله تعالى يعاند فما يترك لنا ولداً)(4). تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .
لما أصيب المسلمون في أحد لم يكونوا ليتوقعوا تلك المصيبة لأن الله وعدهم بالنصر ، فعلمهم الله بدرس شديد بالدماء والشهداء: ((أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ)) [آل عمران:165].
ماذا حصل من عند أنفسهم:
- فشلتم ،
- وتنازعتم في الأمر ،
- وعصيتم ،
- منكم من يريد الدنيا.

مواطن الثبات:

وهي كثيرة تحتاج إلى تفصيلٍ ، نكتفي بسرد بعضها في هذا المقام:

أولاً: الثبات في الفتن:

التقلبات التي تصيب القلوب سببها الفتن ، فإذا تعرض القلب لفتن السراء والضراء فلا يثبت إلا أصحاب البصيرة الذين عمّر الإيمان قلوبهم. ومن أنواع الفتن:

- فتن المال: ((ومِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتَوَلَّوْا وهُم مُّعْرِضُونَ)) [التوبة:75-76].

- فتنة الجاه: ((واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وجْهَهُ ولا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)) [الكهف:28]

- فتنة الزوجة: ((إنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)) [التغابن:14].

- فتنة الأولاد:"الولد مجبنة مبخلة محزنة" (5).

- فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم: ويمثلها أروع تمثيل قول الله -عز وجل-: ((قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ * إذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * ومَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) [البروج:4-5].
وروى البخاري عن خباب -رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد برده في ظل الكعبة. فقال -عليه السلام-: "قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه، ما يبعده عن دينه...".

- فتنة الدجال: وهي أعظم فتن المحيا: "يا أيها الناس ؛ إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله آدم أعظم من فتنة الدجال... يا عباد الله ، أيها الناس ؛ فاثبتوا ، فإني سأصفه صفة لم يصفها إياه قبل نبيٌّ..."(6).

وعن مراحل ثبات القلوب وزيغها أمام الفتن: يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكتت في قلبه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا ؛لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مُربَّداً كالكوز مُجَخِّياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه"(7).

ثانياً: الثبات في الجهاد:

((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا)) [الأنفال:45].

ثالثاً: الثبات على المنهج:

((مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ومِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ومَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)) [الأحزاب:23] ، مبادئهم أغلى من أرواحهم ، إصرار لا يعرف التنازل...

رابعاً: الثبات عند الممات:

((إنَّ الَذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا ولا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)) [فصلت:30].

اللهم اجعلنا منهم ، اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1- عتيق: صفة مدح ، مثل:((وليطوفوا بالبيت العتيق)) ، "عليكم بالأمر العتيق".

2- حسن. رواه ابن ماجه عن أنس مرفوعاُ. صحيح الجامع (9 221).

3- البخاري.

4- "الثبات عند الممات" لابن الجوزي.

5- صحيح الجامع (7037).

6- رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة. صحيح الجامع (7752).

7- رواه أحمد ومسلم عن حذيفة مرفوعاً.

الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة

خولة درويش

أهمية الوقت لدى المرأة وأضرار إضاعته:

لقد جرت العادة في أكثر بلادنا الـشـرقـيـة:أن تـخـصـص الـمرأة فترةَ بعد العصر لاستقبال صديقاتها ،أو زيارتهن على اختلافٍ في طريقة الزيارة أهي دورية منظمة أم عفوية؟ ، وأياً كانت الحال لا يخلو البيت يومها من إعلان حالة طوارئ فيها. فاستعدادات فوق العادة ، تستنزف الجهد ، وتضيع الوقت ، وتبعثر المال. وتحول يوم الاسـتـقـبـال إلـى مباراة بين الأسر فيما يقدم للضيوف ، وفي إبراز مظهر البيت ولباس أهله.

ولـو سـئـلـت غـالـبـية النساء عن الهدف من هذه الزيارة؟ لكان أحسن ما يفصحن به: إنه التلاقي لقتل الوقت والتسلية ودفع السأم والملل عنهن.

ولا أدري هل الوقت إلا عـمـر الإنـسـان الـذي يـسـأل عـنه ؟ ومتى السؤال؟ إنه يوم الفزع الأكبر.. يوم لا تملك نفس لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذ لله.

عن أبي بردة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟، وعن علمه ما عمل به؟، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟، وعن جسمه فيما أبلاه؟" (1).

ومن السائل؟ إنه رب العالمين الذي خلق الجن والإنس لعبادته لا للهو ولا للتسلية ؛ ((لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إن كُنَّا فَاعِلِينَ)) [الأنبياء: 17].

فماذا نقول لرب العالمين إذا سألنا عن الوقت المهدور الذي إن لم يخل من المحرمات فلا يخلو من لغو الكلام والثرثرة التي ذمها الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "إن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون"؟(2).

ومن أضاع وقته فقد أضاع جزءاً لا يعوض من حياته، وجديرٌ أن تطول عليه حسرته ، وهل الوقت للمرأة وحدها؟! أين حق الزوج والأولاد؟ ومتى تؤدي حقوق مجتمعها وأمتها الإسلامية؟

لمن تترك مهمتها إذا كان همها الخروج من البيت واللهو الفارغ؟ وقد تقول إحداهن: إنها أدت واجباتها، ظناً منها أن مهمتها محصورة في التنظيف وإرضاء الزوج والإنجاب ، وإن التفتت إلى تربية من أنجبتهم فقد لا يتعدى اهتمامها إطعامهم وكسوتهم المناسبة ودراستهم المتفوقة.

لا يا أختاه ، فأنت مربية الأجيال ، وممولة للمجتمع المسلم ببناته من نساء ورجال ، إن واجبي وواجبك التربية الرشيدة لأبنائنا ، وإعدادهم إعداداً إسلامياً يجعلهم قادرين على حمل الأمانة والنهوض بالأمة وبناء المجتمع الفاضل المنشود.

فإن تركتُ وإياكِ أبناءنا والتفتنا للتسلية فقد خلفنا أبناءً هم الأيتام حقاً رغم وجود أبويهم ،إن اليتيم هو الذي تلقى له أماً تخلت أو أباً مشغولاً ، بل من فقد والديه بالموت قد يجد من يشفق عليه ويرعاه ويحنو عليه،أما من فقدهما في اللهو عنه: فأنى يجد من يرحمه ويفطن لمأساته ، فالمرأة المشغولة بنفسها دائماً لن تجد الوقت الكافي للإشراف على فلذات كبدها وتوجيههم ومتابعتهم والأنس بهم ، مما يساعدها على أداء رسالتها وإرضاء ربها.

صحيحٌ أن الدنيا - هي دار الامتحان - مليئة بالمتاعب والصعاب وفي اللقاء تسلية ومؤانسة... لكن هل التسلية غاية من تشعر أنها على ثغر من ثغور الإسلام ، فلا يؤتى من قبلها؟ أم هي غاية العابثات؟ أمَا وإن الترويح ضروري بين الفينة والأخرى فليكن على غير حساب الأخريات وأوقاتهن...!!

كثيراً ما نشكو من غزو أعدائنا الفكري... وأننا مستهدفون محاربون ، فهل أعددنا العدة لمجابهتهم ، أو على الأقل هل حصَّنا أنفسنا ضدهم روحياً وثقافياً لنطالب بالتسلية؟ ولا تنصر الدعوات وتنتشر بالتشكي والأسى.

إن ما نعانيه يوجب علينا أن نراعي واقعنا على أسس إسلامية لنستطيع النهوض من كبوتنا ، وإلا ستبقى آمالنا سراباً وأمانينا حلماً نرجو أن يتحقق ، وهيهات أن يتحقق بدون عمل وجهد وجهاد. ((والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)) [العنكبوت:69].
إن العقوبات التي يوقعها الله في أمتنا ما هي إلا لتخاذلنا عن نصرة ديننا وعدم القيام بواجبنا ، والانهزامات التي أصابتنا قد ساهمت بها المرأة من حيث لا تدري ، يوم بدأ دورها ينحسر وتخلت عن القيام بواجبها كما ينبغي في التربية والتنشئة والتعليم.
وهذه الحقيقة المؤلمة التي تدمي القلب وتحز في النفس ، تدفعنا في الوقت نفسه إلى الاستفادة من أوقاتنا للقيام بمهمتنا التي سنسأل عنها: "المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها" (3).
فلنقم بواجبنا في تربية رجال وأمهات المستقبل ثم لنلتفت إلى التسلية. هذا وإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- دلنا على طريقة لإبعاد الهم عن النفس ؛ ألا وهى :توثيق الصلة بالله ، نقبل عليه بالطاعات ، ونجعل همنا الدار الآخرة ، فما الهم إلا نتيجة الحرص على الفانية.
عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من كانت الآخرة همه: جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كانت الدنيا همه: جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدِّر له"(4).
ولقد قال تعالى مبيناً مدى الضيق والضنك ، والعيش النكد الذي يكون به الغافل المعرض عن ذكر الله، وذلك في الدنيا قبل الآخرة: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى)) [طه:126]
فلنجعل غايتنا رضا الله تعالى ، وسبيلنا اتباع شريعته ، عندها: نشعر أنه لا فراغ يثقل على النفس ويجلب الهم والحزن ، بل أوقاتنا معمورة بذكر الله وطاعته ،والحياة كلها تصبح عبادة وقُربة ، واستفادة من كل لحظة في حياة الإنسان عملاً بقول المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: "اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك"(5).
وإن كان ابن الجوزي قد عجب من أهل زمانه وإضاعتهم للوقت فقال: "رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً ، وإن طال الليل فبحديثٍ لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر ، وإن طال النهار فبالنوم وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق نشبههم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر ، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود ، فهم في تعبئة الزاد

للرحيل ، إلا أنهم يتفاوتون ، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة" (6).
فماذا نقول نحن عن الناس في زماننا؟! وقد أصبح العبث الفارغ أساس حياة أكثرهم ، والتبرم بالحياة سبباً في أمراض نفسية غريبة ، وصار الضيق والهلع من المجهول شبحاً يطارد ضعاف النفوس والإيمان؟!
إن أساليبهم في اللهو وإضاعة الأوقات تفوق الخيال: فبعد السهر والسحر على شتى البرامج في وسائل اللهو الحديثة المحرمة والمباحة ، النوم حتى الضحى ، واللهاث بقية النهار للدنيا فقط ، وفي أعمال الدنيا.. وكثرة النوم والتناوم هو شأن الخاملين اللاهين. أما الجادون: فيحرصون على أوقاتهم حرص الشحيح على ماله أو أشد حرصاً. حقاً: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (7).

أيهما أفضل المخالطة أم الانفراد؟

وكأني بك أختي المسلمة تتساءلين: وهل هذا يعني البعد عن الناس وعدم الاختلاط بهم؟
"إن اختيار المخالطة مطلقاً خطأ ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ" (8) ، والإسلام دين تجمع وألفة ، والاختلاط بالناس والتعارف بينهم من تعاليمه الأساسية ، وقد فضل الرسول -صلى الله عليه وسلم- المسلم الذي يخالط الناس على ذلك الذي هجرهم ونأى عنهم: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (9) ، وكيف يكون الإحسان للجيران والأقارب إلا بمواصلتهم ومعرفة أحوالهم؟
فكم من زيارة دلت على خير في الدنيا والآخرة مسحت بها المسلمة آلام أختها المصابة ، تقوي عزيمتها، تشد أزرها وتدفعها إلى الصبر ، تحس عندها حسن الظن بالله وقرب الفرج ، تشاركها أفراحها ، تعلمها ما تجهله من أمور الدنيا والدين ، تتناصح وإياها وتتشاور لما فيه خيرها وخير المسلمين. أما المخالطة العشوائية التي لا يأبه لها كثير من النساء: فما هي إلا مظهر من مظاهر انهزام المرأة وتخاذلها عن القيام بواجباتها الأسرية ، وهروب من التبعات المنزلية لتمضي مع صويحباتها فترة لهو ولغو. وهى حالة مرضية من حيث الهدف والمضمون. فحري بنا أن نسعى حثيثاً للعلاج قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله. ((ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا ويْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إذْ جَاءَنِي وكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإنسَانِ خَذُولاً)) [الفرقان:27-29].
ولما للمرأة من مكانة عظيمة في توجيه الناشئة وغرس العقيدة الصافية في نفوس الأبناء -أجيال المستقبل،كان لابد من محاولة جادة للاستفادة من وقتها وعدم إضاعته سدى في مجاملات تافهة ، ومظاهر فارغة.

لقد كانت المرأة أما وزوجة خير عون على الخير لما تطلعت نحوه ، وشر دافع نحو الخراب والدمار لما سعت إليه. كانت مطية للأفكار الهدامة في القرن العشرين ، وستكون مشعل نور للأجيال إن تمسكت بعقيدتها ودينها.
والله أسأل: أن يجعل هذه المحاولة لبنة تعين الأسرة المسلمة على إكمال رسالتها ،وأن يلهم مسلمة عصرنا رشدها لتعود كسالفتها الصالحة مرشدة لكل خير وفضيلة.
- يتبع-

الهوامش:

1- رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.
2- أخرجه الترمذي في البر والصلة من حديث جابر وحسنه. وهو في المسند 4/193، وانظر شرح السنة 12/367.
3- صحيح مسلم بشرح النووي 12 / 213.
4- رواه الترمذي / 2583.
5- أخرجه أبو نعيم في الحلية مرسلاً ، وأخرجه الحاكم 4 / 306 موصولاً . ينظر شرح السنة 14/224.
6- صيد الخاطر / 142.
7- رواه البخاري في الرقاق ،والترمذي في الزهد.
8- فتاوي ابن تيمية 1/426.
9-مصنف ابن أبي شيبة 8 / 564.

كتاب في مقال

الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن

عرض وتقديم:محمد عبد الرحمن آل الشيخ

الاهتمام بالقرآن وتفسيره مظهر من أهم مظاهر الاهتمام بالإسلام ، ومنذ عصر الإسلام الأول ومكتبة التفسير تزداد غنى وتضخماً ، حتى أصبح القارئ اليوم يجد نفسه في حيرة أمام هذه الكتب ومناهجها ، فلا يكاد يسلم له اختيار ، ولا تستقيم له قراءة ، إذا لم يبذل جهداً كبيراً في اختيار الكتاب والكاتب ، من هذا المنطلق عنى جماعة من علماء المسلمين بأصول التفسير ومنهجه ، فكتبوا -عن التفسير وتاريخه ومراحل تطوره، وكتبوا عن المفسرين واتجاهاتهم وغاياتهم ، ليخلصوا بعد ذلك إلى منهج واضح في التعامل مع المفسرين في كتبهم،تعين القارئ المسلم في تناوله لكتب التفسير ، وتجعل أمامه معايير واضحة في القبول والرد لأي فكرة أو عبارة.
ويعد الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله - واحداً من علماء المسلمين الذين تخصصوا في التفسير وعلمه، فعاش مع الأولين والآخرين من

خلال قراءته لكتبهم المطبوعة والمخطوطة ، ويكفي شاهداً على مكانـتـه في هذا المجال كتابه القيم "التفسير والمفسرون"، غير أن للشيخ كتيباً آخر - وإن كان جــزء كبـيـر منه مأخوذاً من الكتاب الأول - يقع في حوالى مائة صفحة تحت عنوان:"الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها"، ومع صغر حجم الكتاب إلا أنه وفي الموضوع توفـيــة جـيـدة ، وأبان فيه كثيراً من أحوال الذين دخلوا عالم التفسير ولكن لم تسلم مؤلفاتهم من انحـرافـات وأخطاء ، ولا نعني بها الأخطاء الفردية الجانبية ، بل المنهجي منها ،حيث يلتزم المؤلف في تفسيره منهجاً غير سليم في تناول النصوص القرآنية يخالف أهل السنة.

والكتاب يقع في مقدمة وتسع مقالات ، تكلم في المقدمة عن تـدرج الـتـفـسـيـر ، وعن مبدأ ظهور الانحراف ، ثم في المقالات التسع: ذكر أحوال تسعة اتجاهات تناولت القرآن تناولاً فيه انحراف في جانب من جوانب منهجها.

المقدمة:

تكـلمت المقدمة أولاً عن:تدرج التفسير، فتكلم المؤلف في البداية عن تفسير الـنـبـي -صلى الله عليه وسلم- القرآن للصحابة ، وذكر خلاف العلماء حول: هل فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن جميعه للصحابة أم بعضه؟

واختار: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما فسر معظم القرآن ، وأن هناك أشياء لم يفسرها للصحابة مثل ما استأثر الله بعلمه ، أو ما تـعـرفـه الـعـرب بلغـتها ، أو ما يعرفه المرء من القرآن بداهة ، أما الأمور التي هي من اختصاص العلماء فهي التي كانت مجال التفسير كبيان المجمل ، وتخصيص العام وتقييد المطلق... وغير ذلك مما خفي معناه والتبس المراد به.

ثم جاء بعد ذلك عصر الـتـابـعين الذين أخذوا التفسير مشافهة من الصحابة ، وزادوا على ذلك باجتهاداتهم بمقدار ما زاد مــن الغموض الذي كان يتزايد كلما بعُد الناس عن عصر النبي -صلى الله عليه وسلم. وهكذا استمر تنقل التفسير بين الطبقات، يزداد الناس بعداً عن عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- وتـزداد اجـتـهـادات العـلـمـاء لسد تلك الفجوة ، حتى ظهر عصر التدوين.

ويقسم المؤلف مراحل التفسير منذ عصر التدوين إلى يومنا هذا إلى أربع مراحل ؛ فيجعل:

الأولى: يوم كان التفسير جزءاً من كتب الحديث ، وكان التفسير بالمأثور يروى بأسانيده ، وأحياناً يفرد له باب داخل كتب الحديث.

والمرحلة الثانية: يوم انفصل التفسير في كتبه المستقلة ، ومن أعلام هـذه الـمرحلة - عند المؤلف -: ابن ماجه (ت:237 هـ) وابن جرير الطبري (ت:

310 هـ) وغيرهما ، وقد عدّ الكاتب هاتين المرحلتين من المراحل الخيِّرة في تاريخ تدوين التفسير بالمأثور.
ولـكـن الـمرحلة الثالثة:لم تكن كسابقتيها ، حيث شهدت ظهور تفاسير لم تعـتـن كـثـيـراً بالأسانيد وإثـبـاتـهـا،بل عمدت إلى اختصارها وذكر أقوال السلف من غير سند ، ومآخذ الكاتب على هذه الـمـرحلــة نـنـقـلـه بعبارته ؛ حيث يقول:" فدخل الوضع في التفسير ، والتبس الصحيح بالعليل ، وكان هذا مبدأ ظهور الوضع في التفسير.
ثم تأتي المرحلة الرابعة: وهي أوســع الـمـراحل حيث امتدت من العصر العباسي إلى هذا اليوم ، يقول- رحمه الله-: فبعد أن كان التفـسـيـر مقصوراً على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة ، وجدناه يتجاوز هذه الخطوة إلى تدوين تـفـاسـيـر اخـتـلـط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلي ، وكان ذلك على تدرج ملحوظ ،فبدأ أولاً على هـيـئــة محـاولات فهـم شخـصـي وترجيح بعض الأقوال على بعض ، وكان هذا أمراً مقبولاً مادام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة كلمات القرآن. ولكن جانب الفهم العقلي أخذ يخرج عن إطاره الـمـقـبـول مــع مرور الزمن،إلى أن وصل إلى مرحلة قال عنها: حتى وُجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بُعد عظيم.
واشتملت المقدمة كذلك على مبحث في: مبدأ ظهور تلك الاتجاهات المنحرفة ، مع دراسة تحليلية موجزة لأسباب ذلك.
ليس من الصعب عـلـى مـن يـقــرأ كــلام الـمـؤلـف أن يخلـص إلى أنه يرجع أسباب تلك الانحرافات إلى عاملين: أولهما: حذف الأسانيد ، والعامل الآخــر: اتجاه أهل الرأي في تفسير القرآن ،حيث يقول: ولاشك في أن انتهاء التفسير بالرأي إلـى إخـضـاعـه لـمـيـولٍ شخصية ومذاهب عقدية وغير عقدية فتح على المسلمين باب شر عظيم. ولهذا العامل عنده سببان:
أولهما: أن يعتقد المفسر معنى من المعاني ، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى قـسـراً ، وإن كـان ما قـصــد إليه معنى حساً ، ولكن لا علاقة له بالآية ، كمن فسر قوله تعالى: ((وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِــمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم)) [النساء / 66] ، بأن قتل النفس هنا: مخالفتها ، والخروج من الديار هو: إخراج حب الدنيا من القلوب. وقد يكون المعنى الذي قصد إلـيـه خطأ أصلاً ، ومع هذا يريد أن يحمل كلام الله عليه ، ومثل على ذلك بمن فسر قوله تعالى: ((واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً)) [المزمل /8] اذكر اسم ربك الذي هو أنت ، أي: اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله.
والسبب الثاني: أن يقف المفسر مع ظاهر اللفظ ،دون نظر في حال القوم الذين نزل فيهم القرآن ، أو سبب نزول الآية.

وبعد هذه المقدمة ، بدأ في تناول الاتجاهات المنحرفة وهي:
1 - اتجاه الإخباريين والقصاص.
2 - اتجاه أصحاب المذاهب النحوية.
3 - اتجاه من يجهل قواعد النحو.
4 - اتجاه المعتزلة.
5 - اتجاه الشيعة.
6 -- اتجاه الخوارج.
7 - اتجاه الصوفية.
8 - اتجاه أصحاب التفسير العلمي.
9 - اتجاه مدعي التجديد.
وقد استغرق الكلام على هذه الاتجاهات بقية الكتاب ، وسنقتصر في هذا المقال على ذكر اتجاهين اثنين، أحدهما قديم والآخر حديث ، هما: الشيعة ومدعي التجديد.
وقد نهج المؤلف في دراسته لهذه الاتجاهات نهجاً تحليلاً موفقاً ، فبدأ وقدم لكل اتجاه بمقدمة موجزة تكلم فيها عن مذهب القوم وبعض عقائدهم التي تخالف عقائد أهل السنة ، ثم أخذ أمثلة من تفاسيرهم ، وذكر انحرافاتهم فيها ، وكيف أوّلوا آيات القرآن لتوافق آراءهم ومذاهبهم ، ويتبع ذلك غالباً بالرد على ادعاءاتهم ، وإبطال تأويلاتهم.
الاتجاهات المنحرفة في تفسير الشيعة:
بدأ الحديث عن الشيعة بذكر أقسامهم من جهة غلوهم في أمير المؤمنين علي بن أبى طالب- رضي الله عنه-، ولخص بعد ذلك عقائد الإمامية الإثني عشرية القائلين بإمامة اثني عشر إماماً، فقال: وللإمامية الإثني عشرية تعاليم ، أشهرها: العصمة والمهدية والرجعة والتقية. وأتبع ذلك بشرح موجز لكل عقيدة من هذه العقائد.
وتكلم بعد ذلك عن تفاسير القوم ، وضرب أمثلة لكيفية اعتسافهم لآيات القرآن الكريم لتوافق عقائدهم ، وحسبنا أن نورد هنا مثالاً واحداً مما ورد في الكتاب ، فقد نقل عن البحراني في تفسير للآيتين 8 ، 9 من سورة الذاريات: ((إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ)) أنه قال: يروى عن أبي جعفر أنه قال في تفسيرها: اختلف في ولاية هذه الأمة ، فمن استقام على ولاية عليٍّ دخل الجنة ، ومن خالف ولاية عليٍّ دخل النار ، وأما قوله: ((يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ)) قال: يعني علياً ، ومن أفك عن ولايته أفك عن الجنة. ثم يرد المؤلف على هذا الانحراف رداً منهجياً جيداً حيث يقول: ولسنا بحاجة إلى الإطالة في إبطال هذا الاتجاه ، بعدما أثبت لنا علماء الحديث ونقاده أن كل الروايات في ولاية علي ليس لها أساس من الصحة ، وأنها من وضع الشيعة أنفسهم ليروجوا بها مذهبهم في الإمامة والأئمة.

القارئ لهذا الفصل من الكتاب يصل في نهايته إلى حيث أراد الكاتب: من أن تفاسير القوم لم توضع بتجرد وإخلاص ، ولا يمكن اعتبارها تفاسير للقرآن بقدر ما يمكن اعتبارها قنوات لصب أفكار الشيعة وعقائدهم من خلالها.

الاتجاهات المنحرفة في التفسير لبعض مدعي التجديد:

إذا كان الكاتب قد التزم الاتزان في العبارة ، والهدوء في المناقشة والرد - وهو خُلق جيد -، فإنه هنا وإن لم يخرج عن هذا الإطار إلا أنه استخدم عباراتٍ أشد وأسلوباً أقوى مع أصحاب هذا الاتجاه ، ولعل ذلك عائد إلى أنه عدّ بعضهم ممن يريد الكيد للإسلام وأهله ، وبعضهم ممن أقحم نفسه في هذا المجال وليس من أصحابه ، فنجد المؤلف في هذا الفصل بعد أن ذكر أن الإسلام بُلي بقوم كادوا له ، وعملوا على هدمه ، نراه يقول بعد ذلك: مني الإسلام بهذا من أيامه الأولى ، ومني بمثل هذا في أحدث عصوره ، فظهر في هذا القرن أشخاص يتأولون القرآن على غير تأويله ، ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم ، ويقضي حاجات نفوسهم... فمنهم من حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله تعالى سبب لظهوره وشهرته في المحيط العلمي ، فذهب يفسر كتاب الله تفسيراً لا تقره لغة القرآن ، ولا يتفق مع قواعد الدين العامة ، ومنهم من تلقى من العلم حظاً يسيراً لا يرقى به إلى مستوى العلماء ، ولكنه اغتر بما لديه فحسب أنه بلغ مبلغ الراسخين في العلم ، ونسي أنه قل في علم اللغة نصيبه ، وخف في علم الشريعة وزنه ،... فأخذ يهذي بأفكار فاسدة تتنافى مع ما قرره علماء اللغة وأئمة الدين.

بهذا الأسلوب وبهذه الروح تناول الكاتب أصحاب هذا الاتجاه.

ومن أصحاب هذا المنهج: صاحب كتاب "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن" ، وقد ثار على هذا الكتاب علماء الأزهر حتى صودر ومنع ، فقد تسلط صاحب هذا التفسير على معجزات الأنبياء وجردها من معانيها الإعجازية ، فلا عيسى عنده ينفخ في الطين فيصير طيراً بإذن الله ، ولا هو يبرئ الأكمه والأبرص ولا يحيي الموتى بإذن الله. ومما نقله عنه المؤلف في تفسيره لقوله تعالى ((وسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ وكُنَّا فَاعِلِينَ)) [الأنبياء:79]، يقول: ((يُسَبِّحْنَ)) يعبر عما تظهره الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية ، ((والطَّيْرَ)) يطلق على كل ذي جناح ، وكل سريع السير من الخيل والقطارات البخارية والطيارات الهوائية ، وفسر قوله تعالى: ((ولِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إلَى الأَرْضِ الَتِي بَارَكْنَا فِيهَا)) [الأنبياء: 81] يقول: ((تَجْرِي بِأَمْرِهِ)) الآن تجري بأمر الدول الأوربية وإشاراتها في التلغراف والتلفونات الهوائية.

فليس بعد ذلك من عجب أن يقسو الذهبي -رحمه الله-على هذا المفسر ويقول عنه: وهذا بلا شك خروج صريح عن مدلولات النصوص القرآنية وإلحاد في آيات الله سبحانه وتعالى.

وبعد ، فهذا هو الكتاب كما قرأته ، لا يخلو كل قارئ له من أن يصل في نهايته إلى معرفة الانحرافات التي قد ترد على كتب التفسير وأسبابها ، ولا يخلو القارئ كذلك أن يستنتج من إجمال الكتاب المنهج الصحيح في التفسير ، الذي به نستطيع قبول قول المفسر أو رده ، ولم يتوسع - رحمه الله - في ذلك ، ولم يعرضه عرضاً مستقلاً ، لأن عنوان الكتاب مقصور على الاتجاهات المنحرفة ، ولكن يمكن أن نستنتج جانباً من ذلك من خلال كلامه وردوده ، فأهم مقومات المنهج الصحيح فيما ذكر: الاهتمام بالأسانيد وتمحيصها ليعلم الصحيح من الدخيل ، ويضاف إلى ذلك التجرد في تناول الآيات القرآنية دون إخضاعها لمؤثرات ومقررات سابقة.

قل موتوا بغيظكم

حكمت الحريري

ذكر ياقوت الحموي في كتاب "معجم البلدان" قصة تتعلق بموقف عمر بن عبد العزيز من جامع دمشق الذي بني في عهد الوليد بن عبد الملك ، فقال: "لما ولي عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- قال: إني أرى في أموال مسجد دمشق كثرة ، فقد أنفقت فـي غير حقها ، فأنا مستدرك ما استدركت منها فردت إلى بيت المال، أنزع هذا الرخام والفسيفساء ، وأنزع هذه السلاسل وأصير بدلها حبالاً ، فاشتد على أهل دمشق ، حتى وردت عشرة رجال من ملك الروم إلى دمشق فسألوا أن يؤذن لهم في دخول المسجد ، فأذن لهم أن يدخلوا من باب البريد ، فوكل بهم رجلاً يعرف لغتهم ويسمع كلامهم وينهي قولهم إلى عـمـر من حيث لا يعلمون ، فمروا في الصحن حتى استقبلوا القبلة فرفعوا رؤوسهم إلى المسجد، فنكس رئيسهم رأسـه واصـفـر لونه، فقالوا له في ذلك، فقال: إنا كنا معاشر أهل رومية نتحدث أن بـقـاء العرب قليل ، فـلـمـا رأيت ما بنوا علمتُ أن لهم مدة لابد أن يبلغوها ، فلما أخبر عمر بن عبد العزيز بذلك قال: إني أرى مسجدكم هذا غيظاً على الكفار ، وترك ما همّ به".

تــلـــك هي القلوب الخفاقة المتعلقة بربها -عز وجل- والتي عزفت عن الركون إلى الدنيا وشهوات النفس ، وارتفعت فوق الإحن ، ولم تعرقلها السلبيات ، فتجد أن مواقف أولئك الرجـــال عزة لدين الله ، متمثلة لقول بارئها وواعية له: ((أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ)) وغيظاً لأعداء الله ((لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ)).

والذي جعلني أتذكر قصة عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- وموقفه ذاك: نظرة كبار المؤرخـــيــن والمفكرين من أعداء الإسلام وموقفهم من الحركات الإسلامية المجددة منها خاصة، والتي تعمل على تجديد معالم الدين وإعادة

الروح الإسلامية الخالصة الحقيقية إلى أبناء الأمة الإسلامية ، تلك الحركات التي لم تقبل الانقياد للأفكار الغربية الملحدة ، ولم تخضع وتنكسر للحاقدين على الإسلام.

وســأذكر فـيـمــا يلي موقف بعض الحاقدين على تلك الحركات المجددة لدين الإسلام ، فيصفها بصورة مشوهة ، ويظهر التحامل وعدم الرضا منها.

وصدق الله -عز وجل-: ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) وقوله-عز وجل-: ((ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا)).

وأول المواقف التي أريد التعرض لها والحديث عنها: لأحد مشاهير المؤرخين الأوربيين "أرنولد توينبى" وذلك في محاضرتين ألقاهما ما بين عامي 1947-1952، وقد تـرجـمـهما الـدكــتـور نـبـيـل صـبـحـي الـطـويـل إلى اللغة العربية في كتيب بعنوان "الإسلام والغرب والمستقبل" ، وطبع للمرة الأولى عام 1389 هـ 1969م.

تحدث توينبي في محاضرته الأولى عن بداية الـعـلاقــة بين الإسلام والغرب ، وذكر أنها بدأت في القرن السابع الميلادي، حينما حرر المسلمون سلسلة من الدول الشرقية من سيطرة الرومان ، من سورية شرقاً إلى أسبانيا غرباً ، بعد أن كانت تحت الحكم الروماني مدة ألف عام تقريباً. واستمر الفتح الإسلامي حتى شمل جميع بلاد الهند ، وانتشر أيضاً في أندونيسيا والصين شرقاً، وفي أفريقيا الاستوائية جنوباً ، وكل ما تبقى من العالم المسيحي الشرقي في آسيا الوسطى ، وجنوب شرقي أوروبا خضع في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لحكم المسلمين العثمانيين ، وبقي علم الهلال يرفرف فوق السواحل الشرقية لبحر الإدرياتيك حتى عام 1912،وبعد أن فشل الأتراك للمرة الثانية في حصار فيينا عام 1683 بدأ الهجوم الغربي المعاكس على العالم الإسلامي.

ولم يكن هذا الهجوم رداً مباشراً مماثلاً للغزو الصليبي ، بل كان تطويقاً للإسلام عن طريق السيطرة على المحيطات ، ونجح الغرب في عقد الحبل حول عنق الإسلام في أواخر القرن السادس عشر، ولم يتم الخناق إلا في القرن التاسع عشر. [الإسلام والغرب والمستقبل:16-18].

وفي هذه الفترة الزمنية: أدرك العثمانيون أنهم بحاجة إلى التقنية الغربية، أي:بعد فشلهم بمائة سنة من حصار فيينا خاصة في المجال العسكري، وكـان مصطفى كمـال واحــداً من الضباط الذين تشربوا الأفكار الغربية حينما كانوا يتعلمون الفنون الحربية الغربية ، وكان هدف هذا العسكري هو التغريب الكامل لتركيا وفرض برنامجه على الناس بقوة القانون ، فتحرير المرأة وإزالة الدين الإسلامي وفرض الأحرف اللاتينية بدل الأبجدية العربية كل ذلك شرِّع بقوانين ما بين "1922-1928"(ص 25).

ثم يــقــول: "من المـؤكـــد أن الشعب التركي بوحي من أتاتورك قد خدم العالم الإسلامي كله!!! عندما حاول حل المسألة الغربية المشتركة باقتباسه الحياة الغربية الحديثة كلها بدون أية تحفظات والقومية الغربية جزء منها" (ص 29).

هذا هو ملخص المحاضرة الأولى لتوينبي:

ولكن... إنه لمنطق عـجـيـب أن يدعي تـويـنـبـي بـــأن مصطفى كمال أتاتورك خدم العالم الإسلامي!!

أية خدمة هي التي يقول عنها توينبي قبل قليل، إن أتاتورك أزال الدين الإســـلامـي!! وحرر المرأة!! وذلك يعني بأنه أخرجها من سترها وحشمتها سافرة عارية ، وأصبحت سلعة رخيصة كما هي حال المرأة في الغرب.

وأيـــة خــدمـــة قـــام بها مصطفى كمال بتغيير الحروف العربية ووضع بدلها الحروف اللاتينية!!

ولكن العجب ينقضي عندما يعلم المسلم: أن هذا هو منطق الحاقدين على الإسلام وأهله ، خدمته هي القضاء عليه! والكلام لا يحتاج إلى طول تعليق.

وأما المحاضرة الثانية والتي عنوانها: "الإسلام والغرب والمستقبل" فلا أريد التعرض لكل ما ذكره توينبي فيها ، بل أكتفي بالتركيز على موضع الشاهد من القصة التي أوردتها في البداية.

بعد غزو الغرب للعالم الإسلامي، فإنه انقسم إلى قسمين شأنه في ذلك شأن كل المجتمعات الـمـغـلــوبـــــة التي تواجه مجتمعاً آخر متحضراً، وفي هذا يقول توينبي كما هو في النص المترجم: "كلما واجه مجتمع متحضر مثل هذا الموقف - أي: الغزو - أمام مجتمع متفوق آخر نجد طـريـقـيــــن لا ثالث لهما للرد على هذا التحدي... فريق أصبح متمسكاً متحمساً متعصباً (ZEALOT) وفريق ثاني أصبح مقلداً متكيفاً (HERODION)، ويعرض توينبي الفريق الأول (المـتـحـمــس) بأنه الإنسان الذي يتهرب من الشيء المجهول ويلجأ للشيء العادي المتعارف عليه. ويــذكــــر أن ممثلي هذا الطريق - المتحمس - في العالم الإسلامي المعاصر: "هم تلك الحركات الـسـلـفـيــة أمثال السنوسية في شمال أفريقيا ، والوهابية في أواسط شبه جزيرة العرب".

ويعتبر أن من الخصائص الملحوظة عـــنــد هؤلاء المتحمسين هي أن معاقلهم تقع في مناطق مجدبة قليلة السكان ، بعيدة عن الطرق الرئيسية الموصلة إلى العالم الحديث.

ثم يذكر أيضاً من الأمثلة على المتحمسين في العالم الإسلامي: الإمام "يحيى حميد الدين" في صنعاء ، ومن الأمثلة على المقلدين التي يذكرها توينبي: محمد على باشا - في مصر ، ومصطفى كمال أتاتورك.

وكما ذكرت فيما سبق من حرصي على نقل مقاطع مترجمة حرفياً من أقوال توينبي ليكون القارئ على بينة من نظرة الحقد التي ينظرها الصليبيون إلى

العالم الإسلامي ، وما تخفي صدورهم أكبر تجاه الحركات الإسلامية الأصيلة، حيث يصفها بالتعصب والتحمس وعدم استعمال العقل والتفكير...
وفي حالة حصول المواجهة بين الغرب وأولئك المتحمسين المتعصبين على حد تعبيره يقول: "ولكن المتحمس المسلح ببندقية أوتوماتيكية لم يعد ذلك المتحمس المتصوف التقي ، لأنه باستعماله لأسلحة الغرب قد وطئ أرضاً دنسة ، ولاشك أنه إذا فكر في الأمر -وقليلاً ما يفعل ذلك لأن سلوكه في الأساس غريزي غير عقلاني- يقول في نفسه: لن أتعدى الحدود التي وصلتها في تعاملي مع الغرب".
وفي مقطع آخر يقارن توينبي بين الـمـقـلدين والمتحمسين ، فيتحامل على المتحمسين ويلمز بهم وينتقصهم، فيقول: "والواقع أن حــركــة المقلدين المسلمين هي أكثر فعالية وتأثيراً من حركة المتحمسين... لهذا يلجأ المتحمس إلى الـمـاضـي كالنعامة التي تحاول وأد رأسها في الرمال لتختبئ من ملاحقيها ، أما المقلد فيواجه الـحـاضــــر بشجاعة، ويحاول اكتشاف المستقبل، فالمتحمس تسيره الغريزة ، والمقلد يسيره العقل".
ثم تعرض مرة أخرى إلى الحديث عن الثورة التي حصلت في تركيا- أي: في عهد مصطفى كمال- ، وأن ثورته لم تقتصر على تغيير الدستور، فيقول: "قــامــت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الإسلامي -الخليفة -، وألغت مـنـصبه، وجردت رجال الدين المسلمين، وحلت منظماتهم، وأزالت الحجاب عن رأس المرأة واستنكرت كل ما يرمز إليه الحجاب ، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات التي تمنع لابسيها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية التقليدية... وكنست الشريعة الإسلامية بأكملها".
كل هذه الأعمال التي قام بها مصطفى كمال تعتبر إصلاحية ، وخدمة للعالم الإسلامي في نظر توينبي!! ومهما حصل من أخطاء في طريقة التنفيذ فلهم عذرهم المقبول حسب رأيه ، وفي محاولة تبريره لتلك الجرائم يقول توينبي: "ولقد قامت ثورة المقلدين الأتراك بهذه الروح فواجهت عقبات ضخمة ومعاكسات شديدة، حتى أن أي مراقب متفائل يضع في حسابه احتمالات قيام أخطاء فاحشة بل حتى جرائم ، ويرجو للثورة النجاح في القيام بأعبائها الهائلة".
ومن الشعوب التي يعتبرها أيضاً من المتحمسين المتعصبين: قبائل الباتان التي قامت ضد الطاغوت الذي كان يحكم أفغانستان الملك "أمان الله" ، ثم يتحدث عن نوعية الاصطدامات التي تقع بين المتحمسين من المسلمين والمقلدين الذين ينتسبون للإسلام ظاهراً ويعادونه خفية وباطناً ، بل ربما تنكروا للإسلام ظاهراً وباطناً ، يقول: "ويمكن أن نلاحظ في سياق بحثنا أن أي اصطدام وقع ويقع بين المتحمسين وأبناء جلدتهم من المقلدين المسلمين ، يلقى المتحمسون فيه عناء شديداً ، ويعاملهم المقلدون معاملة قاسية لا

يتجاسر الغربيون على القيام بها ، فالغربيون يعذبون المتحمسين بالسياط ،أما المقلدون المسلمون فيعذبونهم بالعقارب".
والأمر الذي يخشاه توينبي ويحذر من عودته هو الوحدة الإسلامية وعودة الإسلام إلى الساحة مرة أخرى كما كان عليه من قبل ليلعب دوره الرئيسي في القضاء على الفساد الناتج عن امتداد الغزو الغربي الذي يرافقه التفرقة العنصرية ، والاختلال الطبقي وغيرها من مفاسد الحضارة الغربية ،وفي ذلك يقول توينبي: "أما في المستقبل البعيد: فيمكن التكهن باحتمال قيام الإسلام بالإسهام في أوجه جديدة للدين ، وهذه الاحتمالات المتعددة تتوقف على الوجهة السعيدة التي سيتمخض عنها وضع الإنسانية الحاضر" (ص 68).
ثم يقول: "صحيح أن هذه الإمكانية المدمرة للإسلام لا تظهر الآن حتمية الوقوع ؛لأن الكلمة المؤثرة "الوحدة الإسلامية".. بدأت مؤخراً تفقد سيطرتها التي كانت على عقول المسلمين"، ثم يقول: "فحركة الوحدة الإسلامية نفسانياً هي الدعوة المثلى التي تسري في عروق المسلمين المتحمسين أمثال الوهابيين والسنوسيين ، إلا أن هذا الاستعداد النفسي للوحدة يصطدم بعقوبات تكنيكية" (ص 68).
ثم يعبر عن خشيته من عودة الوحدة الإسلامية بعبارات واضحة جلية، وهذا ما يختم به محاضرته فيقول: "صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ ، إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية ، ونادت بزعامة معادية للغرب ،فقد يكون لهذا العداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام ، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام.
هناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي، ففي عهد الخلفاء الراشدين بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "حرر الإسلام سورية ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلهما مدة ألف عام تقريباً "، وفي عهد "نور الدين" و "صلاح الدين" و "المماليك": احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول ، فإذا سبب الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية ، يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى ، وأرجو ألا يتحقق ذلك(ص 73).
أخي القارئ الكريم: هذا هو كلام المؤرخ الأوربي الشهير الذي يُعتبر أسوة لأبناء جلدته ومن شاكلهم في الحقد على هذا الدين وعلى تلك الحركات الأصيلة ، وهذه الكلمات التي يختم بها محاضرته: "أرجو ألا يتحقق ذلك"!!
يرجو ألا تعود الوحدة الإسلامية؛ لتقف الأمة في مكانها الرائد، ولتقوم بدورها المطلوب في إنقاذ الشعوب وتحريرها من سيطرة الطواغيت والأنظمة

الجاهلية بكل مسمياتها، وإعادتها إلى نظام توحيد الألوهية الذي دعت إليه جميع الرسل، وتنفيذ قول الله -عز وجل-: ((إِنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلَّهِ)).
إن مما يغيظ الحاقدين على الإسلام ويثير حنقهم:تلك الحركات التي يتهمها بالتعصب والحماس... الوهابية والسنوسية وقبائل الباتان ،تلك الحركات التي يحكم توينبي بأن نهايتها الموت المحقق والفناء الكامل، لأنها تواجه الحضارة الغربية.
ولقد خيب الله تعالى ظن توينبي وأمثاله؛ إذ ظنوا أنهم سيقضون على الأصوات التي ارتفعت تنادي بالعودة إلى شرع الله والأيادي التي حملت السلام لتذود عن دين الله.
ظن أن ما فعله محمد علي باشا بإشارة من الإنكليز والفرنسيين في ضرب الحركة الوهابية في عقر دارها ، ظن أنها ستنتهي إلى الأبد ، وهيهات له ذلك ، فلقد تأثر بأفكار محمد بن عبد الوهاب معظم الحركات الإسلامية في شرق العالم وغربه.
وظن أن ما فعله الملك "أمان الله" مع قبائل الباتان في قيامه ضدهم وتعاونه مع الانكليز للقضاء عليهم في أفغانستان ظن أنهم قد قضي عليهم وانتهوا ، فكيف لو اطلع توينبي ورأي ما يحدث بأفغانستان على أيدي من يصفهم بالمتعصبين المتحمسين ، من مواجهتهم لأظلم وأشرس وأشد طواغيت الأرض من الشيوعيين ،لقد أرغم هؤلاء المتحمسون أنف الروس والشيوعيين وأذاقوهم كؤوس المنون وبالرغم من كل ما تعده من مكر الليل والنهار.
ونسأل الله أن يجعل كيد الخائنين في نحورهم ،فما كان الروس يتوقعون أن تحدث لهم مثل هذه المذلة باحتلالهم لأفغانستان ، الذي كانوا يظنونه: أن احتلال أفغانستان كسب مهم لروسيا وخطوة عملية بضمهم أفغانستان للإمبراطورية الشيوعية، وذلك لكثرة خيرات أفغانستان وثرواتها ، ولكن "رُب حتف امرئ فيما تمناه".
إنني أهيب بالمخلصين من دعاة الإسلام وحملة رايته بشتى أصنافهم ،شيباً وشباباً ،علماء وطلاب علم، وأدعوهم إلى أن يتمثلوا موقف الخليفة الراشد مجدد القرن الأول عمر بن العزيز -رضي الله عنه- في كل ما يغيظ أعداء الله وأعداء هذا الدين(1).
فلنقوِّ ونؤازر كل ما يغيظ أعداء الله وأعداء رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وبذلك ننال رضى الله تعالى، ونحقق معنى الموالاة لأولياء الله والبراءة من أعداء الله ، وبذلك يتحقق قول الله -عز وجل-:((لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ))، وقوله تعالى: ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ))، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله" ، ثم لينطلق لسان

المؤمن بربه وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- بعد قراءة هذا المقال بقول الله تعالى: ((قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)).

1- انظر مجلة البيان العدد الثالث، حيث ورد كلام مفصل عن التجديد في عهد عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-.

أدب وتاريخ - قصة قصيرة

الأشباح

علي محمد

كانت عقارب الساعة متعبة متثاقلة ، تقترب من الحادية عشرة مساءً ،عندما كان السيد حمـدي يقـطـع الطريق المتلوي الذي تشخص إليه عيون الأشجار الكهلة الكثيفة، زائـغـة مضطربة تحت أشـعـة ضـوء الـقـمـر التي تدس أنفها في كل زاوية ، فاضحة أسرار الظلام مشكلة أخيلةً ، جميلة حيناً ، مـحـيـرة حيناً ، مخيفة حيناً آخر ، بينما تأخذ النسمات الشمالية اللطيفة الباردة دورها في تحريك الأخيلة يمنة ويسرة،وتعبث بالأوراق والأغصان، محدثة أصواتاً ترمز أو لا ترمز إلى شيء.

وكان الحديث الذي دار في تلك الأمسية عن الجن والعفاريت يملأ وعيه، ويـعـشـش بـيـن ضلوعه،وما أن بدأت بعض الحصيات تتطاير بفعل الحركة المرنة لمؤخرة حذائه الإسفنجي الصيفي حتى بدأ بإسقاط كل ما دار في تلك الأمسية على محاوره الذاتية النفسية ، معللاً كل حركة ،ومؤولاً كل خيال ، مستخدماً كل معلوماته في الجغرافيا وعلم الاجتماع.

هذه الحركة الخشنة البطيئة المرعبة عند تلك الشجرة الضخمة ، أقرب ما تكون إلى حركة شمهورش ملك الجن الأحمر... وهــذه رمانة و هيلانة ... تحاولان النزول بهدوء من فوق ذلك الحائط بحركة رشـيـقـة أشـبـه بحركة اللصوص الظرفاء نـَ نـَعم ــم ، إنهما يقتربان لكن؟! من هذا الذي يرمي علي الحصى من الخلف؟

- هل أضمروا لي شراً يا ترى؟

- ماذا يريدون؟

- هل سيقتادونني مثل اللجان الشعبية إلى حيث لا أدري؟

- لكنّ موقفي المعلن لم يكن ضدهم في الحديث الذي دار منذ قليل!!أم.. أم؟!

- كما أنني لم أسخر من بقرة سيدنا الشيخ علي!!

- وكيف أسخر منها وهى الكرامة الحية التي تناقلها أفاضل الناس ، يوم أن قالت قولتها المشهورة: "إما حراثة وإما حليب" حين أتعبها الشيخ علي بالحراثة؟!

- لكن يا ترى هل يستطيعون أن يعلموا ما دار في خلدي؟ لا أعتقد ذلك. فالله -عز وجل- يقول على لسانهم: ((وأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً))؟!
- لكن أرى أنهم يريدون بي شراً... كل الدلائل تشير إلى ذلك؟!
- ماذا عملت يا ترى؟
- أكان علي أن أرد على زملائي الذين سخروا من حراس مقام بقرة سيدنا؟!
- إنهم يقتربون!!
- ياإلهي!!

الحركة تزداد من هنا ، وهذا الشيخ قادم إلي من هناك، آه الحصى بدأ يتكاثر علي...لقد أصبحت على مقربة من المقام.. علي أن أسرع... علي أن أسرع قبل أن يصيبني مكروه...

- لكن يا ترى هل هؤلاء من الجن المؤمنين أم من الكافرين؟
- وإن كانوا من المؤمنين ، فلماذا يضمرون لي الشر؟
- وإن كانوا من الكافرين، فما شأنهم بحراسة المقام؟
- وكيف يستعين سيدنا الشيخ علي بالجن؟!
- ألم يسمع قول الله -عز وجل-: ((وأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً))؟
- "ومع ازدياد حركته يزداد تطاير الحصى ، وتزداد حركة أخيلة الأشجار ، وتزداد نبضات قلبه خوفاً وهلعاً".
- يا إلهي!!
- كيف يقول لنا الأستاذ فهمان:أن كل هذه الأشياء خرافات نسجتها العجائز؟!
- إن وجود الجن حقيقة ، كما قال -عز وجل-: ((وخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ)) ، وأنهم يروننا ولا نراهم حقيقة ، كما قال -عز وجل- أيضاً: ((إنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ)).
- كما أن كلام الست درية خانم عن جارتها أم الهبرة عن الإسكافي أبي كارم [أن رجلاً سافر إلى أحد الأودية هناك ، فوجدوه مشلولاً ، عاجزاً عن النطق من كثرة ما ضربه الجن على رأسه] كلامٌ متصل السند، لا يعتريه شك ، وبالتالي... وبالتالي..
- وبالتالي ، فاسأل الله -عز وجل-: أن يحفظني من بطشهم هذه الليلة ، فإنه لا قوة لهم مع الله ولا حيلة ، ألم يقل -عز وجل- على لسانهم: ((وأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ ولَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً))؟

ولما تجاوز المقام بسلام ، توقَّف توقُّف الحذر، يتلفت يمنةً ويسرةً ،بل تسلق أحد الجدران متشجعاً من حيث الظاهر ، يكاد ينخلع قلبه هلعاً من الداخل ، راقب المكان بدقة ، فلما لم يعد يرى أو يسمع شيئاً ، تابع مسيره إلى البيت مسرعاً مطمئناً بعض الشيء.

وفجأة ينتصب على يمين الطريق ماردٌ عملاق عجيب مخيف، يرتفع رأسه فوق الأشجار ، انهارت أقدام حمدي ، وانعقد لسانه ، وأيقن بالهلاك ، ووجد نفسه -بشكل لا إرادي- يركض ويركض ، لاهثاً ، مسرعاً، خائفاً مرتـعـداً . وكــان كلما أسرع يزداد عدد الحصى المتطاير ، وتزداد سرعة الأخيلة ، التي تعني هجوم مرجـانـة وشمـهـورش وكـل حــراس المقام.
سقط على الأرض مراراً ، تحامل على نفسه، ولم يشعر بالجروح في ركبتيه ويديه ، أخذ يـصـيـح بشكل عفوي: يا رب... يا رب... سلِّم.. سلِّم ، وصل إلى البيت ، تلفت عشرات المرات الـمتتالية ، وراء ، أمام ، يمين ، يسار ، فتح باب البيت أسرع من البصر ، دلف إلى غرفته ، انـدس فـي الفـراش ، غطى وجهه باللحاف، أخذ اللحاف يرتفع وينخفض متجاوباً مع حركة الصدر الخائف المضطرب.
وكان كلما هدأ روعه، وأغفى إغفاءة قصيرة، هبَّ من نومه فزعاً ، مرتعداً ، ينادي هناك.. هناك.
وأحست الحاجة زهدية بالموقف دون أن تدري ما السبب، وبدأت تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وتقرأ الفاتحة ، والمعوذات ، وأشعلت مبخرتها لتطرد الأرواح الشريرة.
سلامتك يا ابني.. سلامتك يا حبيبي.
وفي الصباح كان على حمدي أن يقطع نفس الطريق ذاهباً إلى مدرسته،ومشى حمدي بخطى خائفة حذرة ، خاصة عندما اقترب من مكان الشبح الذي رآه بالأمس.
- وفجأة؟!! تسمَّر في مكانه. إنه هو ... نعم ... نعم .. إنه هو ، هذا هو رأسه ، فوق تلك الشجرة ، يا إلهي!!!؟
- أنا أعلم أن الأشباح لا تظهر في النهار؟
- أنا إذاً مطلوب ، مطلوب من دولة الأشباح ، ليلاً أو نهاراً.
- لكن ماذا عملت؟
- إنه يتحرك ... يتحرك.
وانتبه زميله فائز ، فسأله مستغرباً :ما بك يا حمدي؟!
- ألا ترى الشبح؟
- وأي شبح؟
- ذلك المارد على تلك الشجرة.
- ذاك؟
- نعم ذاك.
- ذاك خيال وضعه جدي لإخافة العصافير حتى لا تأكل المشمش ، وليس لإخافة الشبان أمثالك.

- تداخل حمدي في بعضه خجلاً، وابتسم ابتسامة شاحبة اللون،وقال بانكسار: إن جدك على ما يبدو صانع ماهر للتماثيل.

الانطلاقة الكبرى

شعر: محمد ظافر الشهري

كابد القيدَ لحمُها والعظامُ وبنو قوها شِباعٌ نِيام
هي في الأسر والهوان حَصَانٌ لم يدنس جنابَها الظلام
كلما أصبح الصباحُ عليها حملتها وقيدَها الأقدام
فتطيل الوقوف تنشدُ نوراً فلقد ساد ليلَها الإعتام
فإذا استيأست .. جثت،فقُواها أنهكتها القروحُ والآلام
وأشدُّ العُجابِ أن ذويها يشهدون العذابَ وهي تُسام
ذي فلسطينُ في القيود تنادي وتطيل النداءَ.. وا..إسلام
بعد أن سلَّمت مقاليدها الفا روقَ أضحى يسوسها الحاخام
فأُذيقت من العذاب صنوفاً كتبتَها ... فكلت الأقدام
واستمات اليهود في ضيمها جُبـ ناً ، ولكنما الجبان يضام
وإذا قصَّرت سهامُ يهودٍ ساندتها من الصليبِ سهام
أين منها الرجال يُعْنُون بالعر ض ، وان كان دونه الإعدام
كم حلمنا بردها وبكينا ثم خابَ البكاءُ والأحلام
لن يُذِلَّ اليهود رقصُ سعادٍ أو تغني - فيُصرعون - هيام
كيف يرجى لنجدة القدس من قد أثقلته الذنوبُ والآثام
قد أضعناكِ يا فلسطينُ لمَّا فتنتنا الخمورُ والأنغام
وشعار القرومِ كلَّ زمان لا يَفُلُّ الحسامَ إلا الحسامُ
ما أضاع الأميُر من أرضها شبـ ـراً فما كان شأنه الإجرام
غير أن الجدود كانوا عماليـ ـقاً.. وقد جاء بعدهم أقزام
ضيع الخَلْفُ قدسهم ونَسَوها وتتالت عليهم الأعوام
يذكر القدس في المحافل يومٌ كل عام .. وتُعرض الأيام
وكأن الجهاد صار مباحاً بعضَ يوم وما عداه حرام
غير أن الجهاد في ذلك اليو م أغانٍ مثيرةٌ وكلام
وخلال الظلام شب ضياءٌ فتلاشى بنوره الإظلام
فعتاد المجاهدين حصاةٌ ودروع المجاهدين لثام
فتذكرتُ وعد خيرِ رسولٍ صلواتٌ تحفُّهُ وسلام
فكلام النبي ليس وربي تعتريه الشكوك والأوهام
سَنَحُسُّ اليهود نحصدهم حصـ ـداً.. وتنهار عندها الأصنام
وتسود البلادَ رايةُ حقٍ رايةٌ تنحني لها الأعلام

@معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين

محمد بن صامل السلمي
مكة المكرمة27/2/1409هـ

الخلفاء الراشدون هـم الأئـمـة الأربـعـة ، أبـو بـكـر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم أجمعين- ، وهم الذين خلفوا رسول الله -صلى الله عـلـيـه وسلم- فـي قيادة الأمة ، ومدة خـلافـتهم من انتقاله -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى في 12 ربـيـع الأول سـنـة 11هـ إلى مقتل علي بن أي طالب في 17 رمضان سنة 40 هـ(1): تسع وعشرون سنة وستة أشهر وخمسة أيام.

وإذا أضـيـفـت لهـا خلافة الحسن بن علي (من مقتل أبيه عن تنازله لمعاوية بن أبي سفيان 25 ربيع الأول سـنـة41هـ) (2) تكون ثلاثين سنة بالتمام ، وقد اختصوا بوصف الراشدين لصفات تميزوا بها في سلوكهم الذاتي وفي إدارتهم لشؤون الأمة ورعايتهم لدينها وعقيدتها وحفـاظهم على النـهـج الـذي جـاء بـه رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- مـن الـدعـوة، والجهاد ، وإقامة العدل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر.

والرشـد ضـد الـغـي والهوى وهو الاستقامة الكاملة على المنهاج النبوي ، وقد جاء وصفهم بهذه الصفة فـي حـديـث العرباض بن سارية -رضي الله عنه-: "... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور" (3).

كما جاء وصف خلافتهم في بعض الأحاديث النبوية: أخرج الإمام أحمد في "مسنده" عن حذيفة- رضي الله عنه- قال: قال رسول -صلى الله عليه وسلم-:"تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها..." الحديث(4).

وفي حديث سفينة -رضي الله عنه- تحديد لزمن الخلافة الراشدة ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء"(5)، قال سفينة: أمست خلافة أبي بكر -رضي الله عنه-سنتين، وخلافة عمر -رضي الله عنه-عشر سنين ، وخلافة عثمان -رضي الله عنه-اثني عشر سنة ، وخلافة علي -رضي الله عنه-ست سنين(6).

وقد تميز عصرهم من بين سائر عصور الدول الإسلامية بجملة من المميزات التي تميزه عن غيره، وصار العصر الراشدي مع عصر النبوة معلماً بارزاً ونموذجاً مكتملاً ، تسعى الأمة الإسلامية وكل مصلح إلى محاولة الوصول إلى ذلك المستوى السامق الرفيع ، ويجعله كل داعية نصب عينيه فيحاول في

دعوته رفع الأمة إلى مستوى ذلك العصر أو قريباً منه ، ويجعله معلماً من معالم التأسي والقدوة للأجيال الإسلامية ، ومن ثم صار كل مصلح وكل حاكم عادل وكل إمام مجتهد يقاس بهذا العصر ويوزن بميزانه ، حتى لقب كثير من العلماء الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء الراشدين)(7)، ونسبوه إليهم، وذلك لأنه سار بسيرتهم ، وسلك طريقهم ، وأعاد في خلافته رغم قصرها (99-101هـ) معالم نهجهم ، وأحيا طريقتهم في الحكم والإدارة وسياسة الرعية.

وفي هذه المقالة نتعرف على بعض معالم عصر الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم-؛ لتكون مثالاً يحتذى وصدىً يهتدى بها في طريق الدعوة إلى الله.

1- توحيد مصدر التلقي:

ومــصــدر الـتـلـقــي هو الكتاب والسنة المطهرة، وهذه قضية مهمة جداً، فما وقع التفرق والاختلاف إلا عـنـدما قصَّرَ المسلمون في فهم الكتاب والسنة وزاحموهما بمصادر ومقررات خارجية من فلسفات الأمم وأهواء النفوس ، والبشرية لا يمكن لها أن تتقارب وتتوحد إلا إذا وحدت مصادر فـهـمـهــا وتلقيها ، فإن الناظر في الفلسفات البشرية والمذاهب الفكرية والسياسات العملية يجد بينها بوناً شاسعاً واختلافاً كبيراً يصل إلى التضاد والتناقض ، ولذلك فإنه لا سبيل لوحدتها وإزالة ما بينها من اختلاف وتناقض ، ويبرأ من النقص والهوى ويخضع له الجميع سوى وحي الله المنزل في كتابه وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، لأنه من تشريع الله الخالق لكل شيء ، الحكيم الخبير الذي أحاط علمه بكل شيء ، قال تعالى: ((ومَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياً)) [مريم:64]، وقال تعالى: ((لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ)) [البقرة:255] ، وقال: ((وكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)) [النساء:26] ، وقال تعالى: ((الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ولَمْ يَتَّخِذْ ولَداً ولَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً)) [الفرقان:2] ، وقال تعالى: ((ولَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى ورَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) [الأعراف:52] ، وقال تعالى: ((واللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) [الحجرات:16].

فما كان الخلفاء الراشدون يتلقون أو يأخذون نظمهم ولا سياستهم ولا مناهج علمهم وكافة أمورهم إلا من الكتاب المــنــزل من الله والسنة الموحى بها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ولم يكن الاقتصار منهم على الوحي الرباني عن فقر في العلوم والثقافة في عصرهم ولكنه عن علم وقصد واتباع لأمر الله وأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، قال تعالى: ((ثُــمَّ جَـعَــلْـنَــاكَ عَـلَـى شَـرِيـعَـــةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَذِينَ لا يَعْلَمُونَ)) [الجاثية:18].

فكل ما خالف الوحي فهو هوى وجهل وعمى ، وقال تعالى: ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) [الروم:30].
ولقد غضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما رأى في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة وقال:"لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"(7) ، وأقوال الخلفاء الراشدين بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومواقفهم توضح ذلك وتبينه.
قال الخليفة الأول صديق هذه الأمة بعد أن بويع بالخلافة في خطبة عامة: "إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقوموني"(8).
وقال عمر الخطاب -رضي الله عنه-:" قد كنت أرى أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سيدبر أمرنا-أي: يكون آخرنا - ، وإن الله قد أبقى فيكم الذي به هدى رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم (9) (يعني: أبا بكر).
وقال أيضاً:" إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ،فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله"(10). فالاعتصام بالكتاب والسنة والتلقي منهما قضية مسلمة لا تقبل النقاش ، ولقد استمرت الأمة على هذا الفهم قروناً ، ولكنها أصيبت في الأعْصُر المتأخرة بالانحرافات حتى جهلت المسلمات ووجد من أبنائها من يجادل في هذا ، بل وربما وجد فيمن ينتسبون إلى الدعوة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

2- حماية جانب العقيدة:

لقد جاءت الشريعة بسد باب الذرائع المؤدية إلى الشرك ومحاربة البدع والمحدثات في الدين، ولهذا لم يكن الخلفاء الراشدون وظيفتهم تقف عند حفظ الأمن والحكم بين الناس، بل إنها تتعدى ذلك لتشمل كافة مصالح الأمة الدنيوية والأخروية ، ومن ثم قاموا على نشر العقيدة الصحيحة وسدوا كافة المنافذ المؤدية إلى الابتداع في الدين أو النقص منه أو الانحراف في فهمه، وقاوموا كل مبتدع أو مشكك في الدين ، وطبقوا قوله -صلى الله عليه وسلم-:"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(11).
والوقائع التاريخية والمواقف المنقولة عنهم في هذا المعنى ، كثيرة نذكر نماذج منها:
- موقف الصديق -رضي الله عنه-في الردة بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فقد واجه المرتدين بكل قوة وصلابة وحزم وشجاعة ، ورفض مهادنة مانعي الزكاة رغم قلة الجند الإسلامي ومشورة كثير من الصحابة له بذلك منهم عمر بن الخطاب ، فقال -رضي الله عنه- قولته الشهيرة: "والله لأقاتلن

من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه" (12).
وقال لعمر بن الخطاب: "أجبار في الجاهلية ، خوار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أوَ ينقص وأنا حي؟ (13).. فهو يعلم -رضي الله عنه-أن واجب الخليفة حراسة الدين من الزيادة والنقصان ، لذلك قال مستفهماً هذا الاستفهام: "أو ينقص وأنا حي؟ "أي:إن ذلك غير ممكن ولا أقبل به أبداً مادمت حياً، ولذلك قال أيضاً: "والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف في يدي ، ولو لم يبق في القرى غيري"(14).
- مواقف عمر بن الخطاب كثيرة: فقد كان -رضي الله عنه-شديداً على أهل الأهواء والبدع ، فقد ضرب صبيغ بن عسل التميمي بجريد النخل وعراجينه عندما أخذ يثير بعض الأسئلة المشككة ،حتى قال له: والله لقد ذهب ما أجد يا أمير المؤمنين ، ثم بعث به إلى والي البصرة أبي موسى الأشعري وأمره بمنعه من مخالطة الناس ، فحجز حتى تاب واستقام أمره وأقلع عن بدعته (15)
وقولته -رضي الله عنه- عند تقبيله الحجر الأسود:" إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقبلك ما قبلتك "(16)... دليل واضح على المتابعة الدقيقة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإبعاد لأي اعتقاد ينشأ عند بعض الناس بأن الحجر ينفع أو يضر بذاته.
وكذلك قطعه للشجرة التي بايع تحتها رسول -صلى الله عليه وسلم- أهل الحديبية بيعة الرضوان ، عندما بلغه أن بعض الناس يقصدها بعبادة كالصلاة عندها أو الدعاء والتبرك بها (17).
- موقف عثمان -رضي الله عنه- في سد باب الفتنة والاختلاف في القرآن الكريم: حيث سارع -عندما قدم عليه حذيفة بن اليمان من أرمينية وأخبره بما رأى من الاختلاف في قراءة القرآن- إلى الأمر بكتابة مصحف واحد من عدة نسخ ، وبعث إلى كل قطر وناحية نسخة ، وأمر بإحراق بقية النسخ والصحف الموجودة عند الناس ، فجمع الناس على مصحف واحد ، وقطع الله بعمله هذا دابر الفتنة، وحقق الله على يديه صيانة كتابه وحفظه من الزيادة والنقصان (18).
- قتال علي -رضي الله عنه- للخوارج وللشيعة الذين غلوا فيه حتى ألَّهوه -رضي الله عنه- فنصحهم عن ذلك ، ثم لمَّا لم ينتهوا أمر بإحراقهم بالنار ، وقال:" لما رأيت الأمر أمراً منكرا أججت ناراً ودعوت قنبراً"(19).
-يتبع-

الهوامش:

1- تاريخ الطبري 3/217 ، 5/143 ، ويذكر قولاً للمدائني في تاريخ قتل علي مقارب لهذا.

2- تاريخ الطبري 5/163 ويذكر ذلك عن بن شبة عن المدائني قال: سلم الحسن بن علي الكوفة إلى معاوية، ودخلها معاوية لخمس بقين من ربيع الأول، ويقال: من جماد الأول.
3- رواه أبو داود 4/201 ، والترمذي 5/44. وقال: حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند 4/126.
4- المسند 4/273 ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد 5/189:رواه أحمد والبزار ورجاله ثقات.وقد حسنه الشيخ الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم 5.
5- أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة وهذا لفظه. والترمذي في باب 16
6- انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (باب في أنه من الخلفاء الراشدين المهديين) ،والنووي تهذيب الأسماء واللغات 2/17، والذهبي سير أعلام النبلاء 5/120.
7- رواه أحمد 3 / 387 ، من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله. وقال الحافظ في الفتح 13 / 234:رواه ابن أبي شيبة والبزار ، وسكت عنه. وقد صرح في "مقدمة الفتح" أن ما يسكت عنه هو حسن عنده. ويشهد لمعناه ما رواه البخاري في صحيحه 13 / 333 -الفتح- عن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي انزل على رسول الله أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب؟!.
8- تاريخ الطبري 3 / 224.
9- البداية والنهاية 6 / 301 وقال: إسناده صحيح.
10- رواه الحاكم في المستدرك 1/ 62 وقال: صحيح على شرطهما. وسكت عنه الذهبي.وقال الألباني: صحيح.
11 - رواه مسلم 3 / 1344 حديث رقم 1718 ، ط فؤاد عبد الباقي.
12- رواه مسلم في صحيحه 1 / 206 بشرح النووي.
13- قال في الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ، 247:خرجه النسائي بهذا اللفظ ومعناه في الصحيحين.
14- البداية والنهاية 6 / 304.
15- سنن الدرامي 1/ 54 ، 55 ، ومسند أحمد.
16- رواه الجماعة. انظر المنتقى من صحيح الأخبار ، حديث رقم (2536).
17- طبقات ابن سعد 2 / 100 ، وأخبار مكة للفاكهي 5 / 78.
18- انظر صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن.
19- ابن حزم ، الفصل 4 /186.

عمر المختار في ذكرى استشهاده

حسن علي أحمد

في السادس عشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام1931 اعتلى البطل عمر المختار - وقد جاوز السبعين من عمره - أعواد المشنقة بعد جهاد طويل دام قرابة الثلاثين عاماً ، حارب فيها الفرنسيين في مملكة كانم و واداي في نيجيريا والسودان ، وعمل على نشر الإسلام في تلك البلاد ما شاء الله له ، ثم عاد ليحارب الإنجليز في مصر، وليقضي بقية عمره بعد ذلك في قتال الإيطاليين الذين جاءوا مستكبرين محتلين لبلاده ومغتصبين لأرضه، فكانت له وقائع مشهودة ومواقف محمودة ، وأبلى في الجهاد بمن معه من المؤمنين الصادقين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله -جل وعلا-.

قالت عنه صحيفة التايمز البريطانية في مقال نشرته في اليوم التالي لإعدامه تحت عنوان "نصر إيطالي": "حقق الإيطاليون انتصاراً خطيراً ونجاحاً حاسماً في حملتهم على المتمردين السنوسيين في برقة ، فقد أسروا وأعدموا الرجل الرهيب عمر المختار شيخ القبيلة العنيف الضاري..." ، ثم تستمر الصحيفة حتى تقول: "ومن المحتمل جداً أن مصيره سيشل مقاومة بقية الثوار ، والمختار الذي لم يقبل أي منحة مالية من إيطاليا ، وأنفق كل ما عنده في سبيل الجهاد وعاش على ما كان يقدمه له أتباعه ، واعتبر الاتفاقيات مع الكفار مجرد قصاصات ورق ، كان محل إعجاب لحماسته وإخلاصه الديني ، كما كان مرموقاً لشجاعته وإقدامه".

ونحن نقول:

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

لقد كانت حياة المختار مكرسة كلها للعلم والدعوة والجهاد؛ طلب العلم في الزوايا التي أنشأتها الحركة السنوسية ، ثم كان أحد روادها في الدعوة وتربية الناس ، حتى نادى منادي الجهاد فقضى بقية عمره معتلياً صهوة جواده ، ممسكاً بسلاحه ، لم يهادن أبداً ، ولم يستسلم لعدوه ، بل قارعه مقارعة الند للند ، رغم قلة الإمكانات ورغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ، ولكنه استعلاء الإيمان وقوة اليقين ، الذي ازداد صلابة وعمقاً في ميادين الجهاد وساحات المعارك ، إن جهاد المختار سيظل معلماً بارزاً في تاريخ ليبيا وتاريخ الأمة الإسلامية كلها وسيظل دليلاً على أن الإسلام صنع - ولا يزال- نماذج عظيمة من البطولات على مر العصور ، وعلى أن العطاء الحقيقي إنما هو عطاء الإيمان.

وفاءً ببعض حق عمر المختار علينا: نقف معه هذه الوقفة القصيرة ، نستذكر فيها أحد الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وثبتوا على الحق الذي آمنوا له ، نستعرض فيها شيئاً من حياته ، والعوامل التي جعلت منه بطلاً شجاعاً غير

هياب ولا وَجِل ، جاهد -رحمه الله -إعلاءً للحق وأهله وإزراءً للباطل وأتباعه ، حياة هذا المجاهد تستحق الدراسة والاعتبار ، فدروس التاريخ هي أبلغ الدروس ، والجيل الذي لا يتعلم من تلك الدروس ولا يستفيد ممن سبقوه لا يمكن له أن يقود حركة التاريخ قيادة صحيحة ، ولا أن يحقق أهدافه المنشودة.
ولد البطل عمر المختار بن عمر المنفي في منطقة البطنان من برقة عام (1277 هـ) 858 1م، ويرجع نسبه إلى بيت فرحان من قبيلة المنفة. وكانت نشأته في بيت عز وكرم ، تحيط به شهامة العرب وحرية البادية ، طلب العلم في زاوية جنزور ، ثم انتقل إلى زاوية الجغبوب التي كانت مركز قيادة الحركة السنوسية آنذاك ، حيث أتيحت له الفرصة أن يتلقى العلم على يدي بعض المشايخ الذين كان لهم دور رئيسي في نشر الدعوة الإسلامية ، أمثال: السيد الزروالي المغربي الجواني ، والعلامة فالح بن محمد بن عبد الله الظاهري المدني ، وقد ظهرت عليه علامات النباهة ورجاحة العقل منذ الصغر ، وظل محل إعجاب وثناء كل من عرفه ، حتى لقي ربه -عز وجل- مقبلاً غير مدبر ، فكان ذلك أكبر دليل على صدقه في التعامل مع الناس وفي إقباله على الله.
وبعد فترة قصيرة عينه السيد المهدي السنوسي شيخاً على زاوية القصور في الجبل الأخضر فـقـام بأعـباء المهمة خير قيام ، من تعليم الناس أمور دينهم إلى فض المنازعات بين القبائل والسعي في مصالحهم وجمع كلمتهم ، وسار في الناس سيرة غبطه عليها العقلاء وزادت من مهابته عند غيرهم، ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن اختياره للقيام على أمور هذه الزاوية كان مقصوداً من قبل المهدي السنوسي ، حيث إن هذه الزاوية كانت في أرض قبيلة العبيد التي عرفت بشدة الشكيمة وصعوبة المراس ، فوفقه الله في سياسة هذه القبيلة ، ونجح في ترويضها بما أودع فيه من صفات القيادة والحكمة.
ثم كلف بأمر الجهاد في واداي ، فقارع الاستعمار الفرنسي الذي كان قد بدأ زحفه إلى وسط أفريقيا، فبذل الوسع حتى لفت الأنظار عزمه وحزمه وفراسته ، قال عنه المهدي السنوسي: "لو كانت لدينا عشرة مثل المختار لاكتفينا" وبقي في واداي يعمل على نشر الإسلام ودعوة الناس وتربيتهم إلى جانب قتال الفرنسيين وحماية بلاد المسلمين ، وكانت المناطق التي يتولى المختار قيادتها وحراستها أمنع من جبهة الأسد ، ولا يخفى ما في ذلك من إدراك القيادي المسلم لواجبه تجاه دينه ووطنه.
وفي عام 1906م: رجع إلى الجبل الأخضر ليستأنف عمله في زاوية القصور ، ولكن ذلك لم يكن يستمر طويلاً ، فقد كانت المعارك قد بدأت بين الحركة السنوسية والبريطانيين في منطقة البردي ومساعد والسلوم على الحدود الليبية المصرية ، ولقد شهد عام 1908 أشد المعارك ضراوة والتي انتهت بضم منطقة السلوم إلى الأراضي المصرية تحت ضغوط بريطانيا على الدولة العثمانية ، وعاد الشيخ إلى زاوية القصور يدير شئونها مرة أخرى ، حتى

امتدت يد الفاشست الآثمة إلى التراب الليبي ، وهب المختار كعادته ليكون في طليعة من لبى نداء الجهاد، وهب ليقود حركة وقفت في مواجهة الغزاة عشرين عاماً ، سطّر فيها المختار ومن معه من المجاهدين الأبطال ملاحم أسطورية تحدث عن عظمها وقوتها الأعداء قبل الأصدقاء ؛ ولقد ذكر الجنرال رودلفو جراستياني في كتابه الذي سماه "برقة الهادئة" - يقصد أنها هادئة بعد إعدام المختار والقضاء على حركة الجهاد فيها:إنه نشبت بينه وبين المختار 263 معركة ومواجهة في مدة عشرين شهراً فقط ، فأعْظم به من بطل ، وأكرم به من شهيد.
وفي عام 1923:أُسندت إليه النيابة العامة للحركة السنوسية وقيادة الجهاد في برقة ، وعلى الرغم من الشدائد التي عاشتها البلاد قاطبة نتيجة لانتشار الطاعون والأوبئة ، وتمكن الإيطاليين من السيطرة على المناطق الغربية من ليبيا ، وانقطاع الإمدادات على قلتها والتي كانت تأتي من مصر عن طريق زاوية الجغبوب. وعلى الرغم من أن مناطق المعارك لم تزد مساحتها على بضع عشرات من الأميال ، ومن أن المختار جاوز الستين من عمره ، على الرغم من هذا كله: كان على إيطاليا وجنرالاتها أن تخوض حرباً لا هوادة فيها لمدة ثمانية أعوام أخرى كانت أصب وأطول سني الحرب كلها ، ولقد جردت إيطاليا كل ما لديها.. آلاف الجنود والمدافع والدبابات والطائرات والضباط والقادة الذين تخرجوا من الكليات العسكرية المتقدمة والتي كانت مصدراً يفخر به الغرب على المسلمين، لكن الذي لم يدركه الإيطاليون وأدركه المختار: أن المقاييس في مثل هذه الأحوال لا تخضع دائماً للتقديرات المادية ، فقوة الإيمان وعزائم الرجال وتجرُّدهم في سبيل الله يرجح الموازين ويخزي الظالمين.
ونستمع إلى كلمات المختار من وراء السنين ،تجلو الهمة والعزيمة والإصرار التي يتميز بها عندما دعي إلى التفاوض مع إيطاليا: "إنا حاربناكم ثمانية عشرة سنة، ولا نزال بعون الله نحاربكم، ولن تنالوا منا بالتهديد" إلى أن يقول:"لن أبرح الجبل الأخضر مدة حياتي ولن يستريح الطليان فيه حتى توارى لحيتي في التراب".
إن أمة مثل هذه لا سبيل لقهرها إلا بالقضاء عليها ، وما أحوج المسلمين اليوم لأن يدركوا مثل هذه العبرة ، وأن يتعلموا مثل هذا الدرس.
ولم يبق أمام إيطاليا إلا خيار واحد، وهو: أن تقطع عن المجاهدين كل إمكانية للإمداد، فجمعوا كل الليبيين في برقة في معسكرات اعتقال جماعية مع ماشيتهم وأغنامهم، وأحرقوا بـعـد ذلك الأخـضر واليابس، ومدوا الأسلاك الشائكة على طول الحدود الليبية المصرية، لكن ذلك لم يكن ليفت في عضد المجاهدين الذين وطنوا أنفسهم على إحدى الحسنيين ، فاستمروا في قتالهم شهوراً عديدة، حتى كان يوم الجمعة 28 ربيع الثاني 1351هـ (11سبتمبر

1931م)؛ إذ فاجأتهم كتيبة من الجيش الإيطالي في جنوب قرية سلنطة ، ودارت بين الطرفين معركة سقط فيها أكثر المجاهدين وقتل جواد المختار فوقع به على الأرض جريحاً ، وقاتل حتى نفذت ذخيرته ، فأسره بعض الجنود الذين تعرفوا عليه ، وكان ذلك إيذاناً بانتهاء الجهاد والمقاومة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .
وفي يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأولى 1351هـ (16سبتمبر1931م) وفي مدينة سلوق: جئ بالمعتقلين وبجمع غفير من الناس ليشهدوا الإعدام، ووضع الجلاد الحبل حول عنقه وصعدت روحه الطيبة تشكو إلى ربها عنت الطواغيت وظلم الظالمين.- أسكنه الله فسيح جناته ، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء-.
لقد كان جهاد المختار ورفاقه ضد الإيطاليين درساً من الدروس العظيمة لرفض الظلم والاستعباد والمضي في ثبات على طريق الجهاد مهما كانت الظروف والإمكانيات ، ولعل من المفيد هنا أن نعرض بإيجاز بعضاً من السمات والخصال التي كونت شخصية عمر المختار، فتوحدت خلفه صفوف الليبيين وأصبح علماً على جهادهم، وانتشرت أخبار بطولاته فأيقظت الرأي العام الإسلامي والعالمي ،فصارت الصحافة تعنى عناية جادة بمصير ليبيا، وكانت قد تناقص اهتمامها بعد انسحاب الأتراك من الحرب عام 1912م:
-إن أوضح سمات المختار -ولاشك- هي: قوة إيمانه بالله ، وصدق توكله عليه ، كما كان ظاهراً في كل أقواله وأفعاله ، كما أن ذلك أيضاً هو مصدر كل صفاته الحميدة الأخرى من الشجاعة والثبات والمروءة ، وكيف لا وهو الذي تربى وقضى عمره في حركة إسلامية كان لها الدور الرئيسي في بعث الإيمان في تلك البلاد ، وإحياء ما اندرس من معالم الدين والدعوة إليه وتربية الناس على ذلك(1)، لقد نشأ المختار في بيئة أكسبته الفقه في الدين، وعلمته الدعوة إليه، وأعْظمت في عينه فضيلة الجهاد ، ولا أدل على ذلك من أنه قضى عمره يجاهد أعداء الإسلام ، ويصارع أعظمهم جبروتاً وكبراً على أرض ليبيا وخارجها ، ولا شيء يصقل إيمان المسلم ويزيد من توكله على ربه كساحات المعارك ومقارعة الباطل والظالمين.
ومع هذا الإيمان الراسخ كان عمر المختار واسع الأفق عالماً بواقعه ، مدركاً لما يجري حوله متابعاً له، وقد كان ذلك أكبر عون له على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام من أعدائه قبل أصدقائه ، وما أعظم أن يجتمع الإيمان والفقه بالواقع ، وما أقبح أن يتفرقا. ولئن كان هذا واضحاً جلياً في كل مواقف المختار وآرائه، إلا أنه يتجلى كأوضح ما يكون في إدراكه لعدم جدوى المفاوضات السياسية والمهادنات مع الحكومة الإيطالية التي وقع فيها - للأسف - كثير من قادة الجهاد الليبي، فكانت نتائجها سلبية سيئة ،وكذلك في

اعتماده على الإمكانيات المتوفرة لديه ، وعدم التجائه إلى الشرق أو الغرب طلباً للعون السياسي أو المادي:

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

- شخصيته القيادية وقدرته على تأليف قلوب من حوله وتوجيههم ، كما أثبت ذلك في إدارته لشؤون زاوية القصور وفي نجاحه في قيادة الجهاد بمراحله ومتطلباته المختلفة: من التخطيط للمعارك وقيادتها ، إلى متابعة أصداء الجهاد في الداخل والخارج والتفاعل معها.

وننقل هنا ما جاء في رسالة بعثها للأمير شكيب أرسلان الذي بذل جهداً إعلامياً كبيراً في الدفاع عن الجهاد الليبي وتوضيحه للعالم ، يقول فيها: "إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى الأمير أخينا في الله الأمير شكيب أرسلان -حفظه الله-: قد قرأنا ما دبجه يراعكم السيال عن فضائح الطليان وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار، فإنني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لمقامكم السامي خالص الشكر وعظيم الممنونية. كل ما ذكرتموه مما اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير، وقد اقتصدتم وأحفظتم كثيراً،ولو يُذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين! لا توجد أذن تصغي لما يروى من استحالة وقوعه ، والحقيقة - والله وملائكته شهود - أنه صحيح ، وإننا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون، وعلى الله في نصرنا متوكلون ، وقد قال تعالى: ((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ))، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في 20 ذي الحجة سنة 1349هـ"(2)

-العقلية العسكرية الفذة التي اكتسبها من خلال حياته في الزوايا التابعة للحركة السنوسية ، حيث كان التدريب على أعمال الجهاد جزءاً أساسياً من برنامج الحياة فيها.

يقول الأمير شكيب أرسلان يصف ذلك ، وكان قد زار ليبيا والتقى بمجاهديها: "حدثني السيد أحمد الشريف:أن عمه المهدي كان عنده خمسون بندقية خاصة به، وكان يتعهدها بالمسح والتنظيف بيده ، لا يرضى أن يمسحها أحد من أتباعه قصداً وعمداً ليقـتدي به الناس ويحتفلوا بأمر الجهاد وعدته وعتاده ، وكان نهار الجمعة يوماً خاصاً بالتمرينات الحربية من طراد ورماية وما أشبه ذلك. فكان السيد يجلس في مرقبٍ عالٍ،والفرسان تنقسم صفين، ويبدأ الطراد فلا ينتهي إلا في آخر النهار" (3) ، هذا بالإضافة إلى الخبرة الطويلة التي اكتسبها من ميادين القتال حتى أصبح ذا كفاءة عالية في استخدام المتوفر من القدرات وفي استغلال طبيعة ميدان المعركة، وذلك بشهادة القادة من أعدائه كما يذكر جراتسياني عـنـه: أنـه تـرك المـواجـهة في الصحراء واتخذ من الجبال مقراً له ، فكان ذلك من أكبر العوائق أمام الإيطاليين في صراعهم مع المجاهدين.

- وفي هذا كله كانت أقواله تصدقها الفعال، بل إن الصدق كان من أبرز سماته على الإطلاق، الصدق مع الله.. الصدق مع النفس، ومع الآخرين حتى إن كانوا ألد الأعداء.. حتى أمام المحكمة التي حكمت عليه بالإعدام...
- هل أنت قائد الثوار ضد الحكومة الإيطالية؟.
- هل حاربت الدولة وحرضت الناس على ذلك؟.
- هل أشهرت السلاح في وجه القوات الإيطالية واشتركت في القـتال فعليا؟.
- هل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالي؟.
- هل أمرت بقـتل الطيارين اللذين وقعا في الأسر؟.
أجاب عن كل هذا بـ:" نعم"، باستثناء حادثة الطيارين اللذين نفى علمه بمقـتلهما - رحمه الله رحمة واسعة- إن شعباً أنجب المختار وأمثاله من المجاهدين لن يعقم أبداً.
إن من أكبر الدروس التي نتعلمها من حياة هذا المجاهد البطل هو:أن الجهاد من أجل حماية العقيدة ونشرها وإقامتها في واقع الحياة ، وبذل المهج والأرواح في سبيل ذلك هو من أسمى غايات المسلم ، وأن القيادة الشرعية إنما هي في حقيقتها قيادة جهادية تعمل على ذلك وعلى تخليص المسلم من الظلم والإذلال ، كما تعمل على نشر العلم وبيانه ، وأنه لتحقيق ذلك لابد من وجود الصلة القوية بين العالم أو الداعية والمجتمع عن طريق العلاقة الوثيقة بالناس وبواقعهم وما يعانونه من مشكلات.

الهوامش:

1- لابد من الإشارة هنا وقد بينا محاسن الحركة السنوسية ودورها في قيادة الجهاد ضد الإيطاليين أننا لا نوافق على كل منهجها وخاصةً في الجانب التربوي الذي اعتمد أساليب الصوفية ، وكان فيه بعض الغلو ، ولكن كان ذلك قد ازداد واستفحل عند المتأخرين منهم وبعد وفاة أحمد الشريف، إلا أن جذوره كانت ولا شك في أصل منهجهم. والحركة السنوسية لم تعط بعد حقها من الدراسة والبحث.
2- كتاب قصة الأدب العربي في ليبيا ، ص 141 ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الخراز 1965 م.
3- كتاب الأمير شكيب أرسلان، القضية الليبية/12، محمد رجب الزائدي، مكتبة الخراز 1964م.

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

رأي في أحداث الجزائر

هذا أول عدد من أعداد مـجـلـتـنـا "الـبـيـان" يصدر بعد الأحداث الدامية التي شهدتها الجزائر في 8/10/1988، وما كنا لندع هذا الحـدث الألـيـم يمر دون

أن نقول رأينا فيه ، لأن الشعب الجزائري المؤمن عزيزٌ علينا ، ما يؤلمه يؤلمنا وما يـسـره يـسـرنـا ، ولن ينسى الـمسلمون في كل مكان جزائر المليون شهيد الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجـل أن يـعـود بلدهم إسلامياً عربياً لا أثر فيه للصليبية ولا للكفر والإلحاد.
وقد حاول العلمانيون بعد الاستقلال نشر الشيوعية والإلحاد ، ولكن الله أخذهم أخذ عزيزٍ مـقـتـدر ، وجعلهم عبرة لمن يعتبر ، وبقيت كتائب ابن باديس والإبراهيمي والتبسي ترفع راية:" لا إله إلا الله.مـحـمـد رسـول الله" خفاقة عالية، يرفعونها في المساجد والجامعات والمدن والأرياف والثكنات وفي كل مكان.
إذن: ليس غريباً أن نعيش مع إخـوانـنـا فـي محنتهم... بل كنا نراقب فساد نظام الحزب الواحد، وما يجره على الجزائر من دمار وويلات ، ولسنا وحدنا الذين نقول هذا القول ، لقد قاله المسؤول الأول في الجزائر -رئيس الجـمـهـوريـة- ، ففي 19 سبتمبر الماضي ألقى خطاباً أمام أعضاء لجان التنسيق في الولايات تحدث فـيـه عـن الـمـشـكـلات الاقـتـصادية الـمـسـتـعـصـيـة ، وقـال بالحرف الواحد: "إن هناك بعض العناصر في النظام تثار حولها الشبهات ، ولن نقبل أبـداً بأن يـسـتـمـر هؤلاء الأفراد في السلطة ... وقال بأن بعض هؤلاء المسؤولين في القمة ويعملون داخل مؤسسات تابعة للحزب وللحكومة وفي أجهزة أخرى ، وهاجم المؤسسات الاقتصادية الوطنية لأنها لا تؤدي دورها المطلوب".
ولم تكن هذه الفضائح سراً من الأسرار ، لقد كان يتحدث عنها المواطن العادي ، وتنشرها الصحف داخل الجزائر وخارجها ، ومن الأمثلة على ذلك: قضية اختلاس البنك المركزي ، ولم يكن المختلسون نكرات في السلطة...
ومما ينبغي أن يعرفه كل عاقل منصف: أن المسؤول الذي لا يعمل في سبيل الله ، ولا يعرف الخوف من الله طريقاً إلى قلبه؛ سوف يسرق ويظلم ويفسد ، وينهب ويدمر البلاد والعباد.. وهو يزعم أنه مصلح وعادل وزاهد وفقير لا يملك من حطام الدنيا شيئاً... والجزائريون وغيرهم وغيرهم يعرفون أمثلة كثيرة تؤكد صحة ما نقول.
ونتيجة لذلك: فقد سبقت الأحداث أزمة اقتصادية خانقة ، فكثير من المواد الضرورية: كالزيت ، والدقيق ، والخضروات ، واللحوم اختفت من الأسواق ، وكثر العاطلون عن العمل الذين يقرعون أبواب الوزارات والمؤسسات بحثاً عن وظيفة ولا يجدون من يجيبهم ويسد حاجتهم ، ونسبة البطالة 17% من السكان القادرين على العمل.
والأدهى من ذلك والأمر قضية السكن: فالجزائر ثاني دولة إفريقية من حيث المساحة ، ومع ذلك ففيها أزمة سكن، مع أن مساحتها تتسع لخمسة أمثال عدد سكانها ، والمشكلة كل المشكلة في الإجراءات الاشتراكية التي فرضها

"بومدين" ، وسلفه "بن بلا" ولا يزال النظام غير قادر على التخلص منها... فالذين وجدوا سكناً يعيشون في غرف لا يحسدون عليها ، فالأسرة التي يبلغ عدد أفرادها عشرة يعيشون في حجرتين صغيرتين... وبكل أسف هناك الكثير الكثير من يتمنى مثل هذا السكن.
وهذه المآسي لا تبرر المذبحة التي وقعت بين المتظاهرين والجيش ، فمن حق المواطنين أن يطالبوا بحقوقهم ، ويعبروا عن مشاعرهم ، ويندودا بالظلم والظالمين.. ولكن ليس من حقهم أن يعتدوا على المؤسسات والمرافق العامة ، ويلحقوا بها أضراراً فادحة ، وقد بلغت كمية الخسائر 170 مليون دولار... والذين أتلفوا هذه الأمور لا يدركون أبعاد القاعدة الإسلامية التي سنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا ضرر ولا ضرار".
ومن حق رجال الأمن والجيش أن يحافظوا على الأمن ،ولكن ليس من حقهم حصد أرواح المتظاهرين ، وقد بلغ عدد القتلى عدة مئات ، ومن بين القتلى أطفال ونساء كانوا في شرفات منازلهم... فالجيش من الشعب، ووظيفته أن يقاتل أعداء المسلمين ، وليست وظيفته مقاتلة الشعب... وكم نتمنى أن يتحقق الوعي عند الجندي المسلم بحيث لو أصدر قائده الأمر إليه ليطلق النار على رواد المساجد أو الأبرياء من المواطنين لرفض ذلك وقال:: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" لن أقتل أخي المسلم ، فاقتلوني إن شئتم ، لن أقتله... لو تحقق هذا الوعي لما كنا في مثل هذا الذل والهوان ، ولما كانت الفجوة واسعة جداً بين الحاكم والمحكوم ، ولما نظر المواطن إلى العسكري نظرة يشوبها الحقد والكراهية أو الحذر والخوف.
والذين كانوا يتابعون الأحداث يعلمون أن وكالات الأنباء والصحف العالمية والعربية أجمعت على شيء واحد... وكان هذا الذي أجمعت عليه عارياً عن الصحة ملفقاً ليس فيه عدل ولا حق... أجمعوا على اتهام "الأصوليين" بالأحداث.
وهم يخترعون أسماء ويلصقونها بالإسلاميين كقولهم "أصولي.. متشدد" وما إلى ذلك من أسماء كاذبة. والأنكى من ذلك: أن صحفاً ومجلات عربية تتبع نظاماً عربياً "عفلقياً" شنت حملة ظالمة على الداعية الشيخ علي بلحاج، وزعمت أنه يتردد على إيران، وأن له علاقات وثيقة مع السفير الإيراني في الجزائر... وأن إيران كانت وراء هذه الأحداث من خلال الشيخ "علي بلحاج".
يا هؤلاء: أنتم تظنون بغيركم كما تظنون بأنفسكم ، فأنتم تتقاضون أموالاً من النظام العفلقي ، وتنشرون المعلومات التي تأمر بها أجهزة مخابرات هذا النظام الذي لم يتعظ ولم يرعو... ونحن على صفحات مجلتنا نخاطب أسيادكم فنقول لهم:
الشيخ على بلحاج - ولا نزكي على الله أحداً والحي لا تؤمن فتنته - ليس نكرة ، ولستم أهلاً للحديث عنه... إنه داعية من دعاة أهل السنة والجماعة عقيدة

وسلوكاً ونظام حياة ، وهو يعرف إيران الخميني كغيره من علماء أهل السنة المتأسين بسلف هذه الأمة من رجال خير القرون ، ومن كان هذا مسلكه ومنهجه يرفض إقامة علاقة مع سفير إيران ، كما يرفض زيارة إيران.
يا هؤلاء: ليس خلافنا مع إيران على أمتار أو كيلومترات -من الأراضي أو الماء ، ولا نتبع نظاماً من الأنظمة فإذا سوَّى هذا النظام خلافاته مع إيران تبعناه في السلم والحرب كما تفعل الصحف المأجورة...إن خلافنا معهم عميق الجذور... ونحن الذين ندرسكم عن أخطار الشعوبيين وموقفهم الخبيث من رسول الله وأصحابه -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-.. بل نتوقع أن يأتي يوم تتفقون معهم، ويجمع بينكم وبينهم عداوة أهل السنة كما فعل ويفعل ابن حزبكم الباطني!!
ولذلك نقول لكم بلغة جازمة: إن الشيخ علي بلحاج لم يزر إيران ، وليس له أي علاقة بسفير إيران أو بأحد الزعماء الجزائريين المتعاونين مع إيران.
وليس له علاقة بالأحداث الدموية ، كان يرى أن يقوم بمظاهرة سلمية، غير أن حكيم علماء الجزائر الشيخ سحنون -حفظه الله- أقنعه أن لا يفعل؛ فاستجاب له ، وما كان موجوداً في مسجد "بلكور" في يوم المظاهرة ، والإسلاميون لا يملكون سلطة ليمنعوا المظاهرة.
فهل تجدون في أنفسكم شجاعة لتصحيح الخطأ الذي أخطأتموه؟!
نجزم بأنكم لن تفعلوا؛ لأن احتمال حسن النية غير وارد عندكم ، ولأن إحدى مجلاتكم المأجورة مختصة بالكذب على الإسلاميين ، وقبل هجومها على دعاة الإسلام في الجزائر كانت تهاجم الإسلاميين في بلاد الشام، الذين ظنوا أن في التحالف معكم يحققون خيراً لبلدهم، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.
إن خير حلٍ نراه: أن يتفق الإسلاميون على مقاطعة صحفكم وتحذير الأمة من أكاذيبها.
أما محاولاتكم لتأليب النظام الجزائري ضد الإسلاميين، فيكفينا في الرد عليكم قوله تعالى: ((الَذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ)).
يا دعاة الإسلام في الجزائر: إن الإجماع الإعلامي العالمي الكاذب يعبر عن خوف الدوائر الاستعمارية وعملائها من وعي الإسلاميين ونشاطهم في الجزائر ،فكونوا على يقظة وحذر ووحدوا صفوفكم وحذار من الخلاف والفرقة ، أما منهج هذه الوحدة فهو الذي أنزله الله وبلغنا إياه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنه منهج أهل السنة والجماعة ، وليس قول هذا ولا شعار ذاك ، واعلموا أن أية وحدة أو تقارب محكوم عليه بالفشل إذا تجاهل دعاتها المنهج.
واستفيدوا يا إخواننا من أخطاء الماضي القريب ، ولتكن معرفتكم بواقعكم المعاصر دقيقة... والدعاة الذين يجهلون السياسة أو الذين يفصلون بين السياسة والمنهج يخسرون خسراناً عظيماً.

وحذار حذار من أهل الغلو؛ فلقد كانوا سبباً في كوارث عديدة أربكت العمل الإسلامي وأعاقت تقدمه ، وويل لجماعة يقودها شباب أغرار يجهلون أصول دينهم ، ويجهلون مشكلات عصرهم ، ولا يقبلون النصح ، ولا يتعظون من أخطائهم أو أخطاء غيرهم.

وأخيراً: اعلموا أننا وحدنا - أعني: دعاة الإسلام - الذين نعبر بصدق وأمانة عن آلام هذا الشعب وبؤسه؛ فالأسرة الكبيرة التي تسكن في غرفة أو غرفتين من أسرنا ، والعاطل عن العمل أخونا أو ابننا ، أما غيرنا فيتاجر بالفقراء والعمال من أجل أن يصل ثانية! إلى كرسي الحكم ، وإذا وصل فسوف ينهب ويفسد ويسفر عن وجهه الأول الكالح ، ويتنكر لكلماته الطيبة التي كان يقولها عن الإسلام أحياناً.

فاقطعوا الطريق عليه وعلى غيره ، ولا تقبلوا قيادة غير رجالكم الذين لا يعصون لله أمراً.

نسأل الله أن يجمع بين قلوبنا ، ويشتت صفوف عدونا، ويجعل لنا من بعد عسر يسراً، إنه سميع مجيب.

المجاهدون الأفغان
إرادة فولاذية استعداداً للمعركة النهائية

في قرى إقليم لوغار الواقع إلى الجنوب قليلاً من كابل ، يبدو أن كل الأسباب تدل على أن نتيجة الحرب أصبحت لمصلحة المجاهدين الأفغان وأنصارهم من المدنيين؛ فقد طوق المجاهدون الأفغان العاصمة الإقليمية هناك ، وبات شريط من المباني الآيلة للسقوط طوله نصف ميل هو آخر معاقل الحكومة في هذا الإقليم.

كما سيطر المجاهدون على الطريق المؤدية إلى الشمال باتجاه العاصمة، وقطعوا خطوط الإمداد الحكومية الحيوية إلى ثلاثة أقاليم.

وفي كل يوم ، تصل الحافلات المحمّلة بالمدنيين من كابل ، ويتحدث هؤلاء عن تعمق الصراعات بين صفوف الحزب الشيوعي الحاكم ، وكذلك عن احتمال سقوط النظام المدعوم من قبل موسكو - وهو ما يراه معظمهم أمراً يتعذر الحيلولة دونه - عند اكتمال انسحاب القوات السوفييتية.

وكانت القوات السوفييتية قد أوقفت انسحابها يوم 4/11/1988م في أعقاب تزايد هجمات المجاهدين ، وكان النائب الأول لوزير الخارجية السوفييتي قد صرح بأن هجمات المجاهدين على الوحدات السوفييتية -منذ بدء الانسحاب السوفييتي- قد بلغت (550) هجمة ، وأن تلك الهجمات قد شملت (88) هجوماً بالصواريخ و (440) هجوماً آخر على نقاط حراسة عسكرية سوفييتية، وتمخضت عن سقوط (750) قتيلاً في العاصمة وحدها.

ومن ناحية أخرى فقد حذر النظام الحاكم في كابل من أنه سيقوم باستخدام صواريخ سكود السوفييتية البعيدة المدى والتي زُود بها حديثاً من قبل موسكو ، ضد قواعد المجاهدين في محاولة منه للحد من تزايد قصفهم.
الأوبزرفر 30 / 10 /1988 م ، التايمز 5 / 11 /1988م

محنة التعليم الإسلامي في إندونيسيا

إذا كان من الصـعـب إلغاء التعليم الإسلامي بصراحة في بلد ذي أغلبية إسلامية ، فإن من السهل جداً الاحتيال على هذا التعليم حتى لا يؤدى النتائج المنتظرة ، وذلك عندما يأتي دور التنفيذ لتوصـيـات الـدولـة فـي هـذا الـمـجـال ، فإن الجهات التي يوكل إليها تنفيذ التوصيات تعرف عملها جيداً ، فتقوم بالواجب خـير قيام ، حيث إن هذه الجهات غالباً ما تكون غير راضية لا عن الإسلام ولا عن ما يتعلق به من تربية وتعليم ، فتؤتمن على أمر يسوءها أن يكون من ورائه نتيجة إيجابية تعود على المعنيين الذين شرع لهم "ومن استرعى الذئب ظلم".
هذا ما حصل في بلد يشكل المسلمون فيه الأكثرية الساحقة من السكان، ولكن لأجل خواطر الأقـلـيـات الأخـرى فـيـه يـحـرم الأطـفـال المسلمون من معرفة حدود هويتهم الإسـلامـيـة ويخضعون لتعاليم أخلاقية مائعة لا لون لها.
فقد أقر تشريع جديد في أندونيسيا يهمل التعليم الديني الإسلامي في المدارس الحكومـيـة، ويوضع بدلاً منه معلومات عامة مستوحاة من "البلانتسيلا" وهي مجموعة مبادئ مستحدثة تـقـوم عـلـى أسـس وثـنـيـة وتاريخية وقومية واتخذتها حكومة أندونيسيا لتكون بدلاً عن العقيدة الدينية.
حتى المدارس الخاصة الـتــي يمكن أن توفر تعليماً إسلامياً يسد بعض النقص الذي تسببه المناهج الرسمية قد سحب البساط من تحت أقدامها وستصبح غير معترف بها ، وهكذا فما على المسلمين إلا أن يهملوا ديـنـهـم رسـمـيــاً وشـعـبـياً ويذوبوا في خضم الأقليات الصينية واليابانية والمسيحية التي تتحكم بها.
وقد يكون هذا التخلي منطقياً ولكن بشرط أن يقابله تـخـل آخــر مـن هـذه الإقـلـيـمـية عن خصـوصـيـاتـهـا وشـراهـتـهـا لابـتـلاع الأكثرية ، فهل هذا هو حالها؟! لا ، بل إن هذه التشريعات ما وضعت إلا لتقويتها وزيـادة سـطـوتها لافتراس الأغلبية الصامتة التي تجرد من كل أسباب المقاومة يوماً بعد يوم.
إن النظام الحاكم في أندونيسيا نظام أقلية قام عـلــى أساس العنف والمكر ، تحتكر السلطة فيه حفنة من العسكريين الفاسدين وأصحاب رؤوس الأمــوال مـن الـصـيـنـيين والنصارى، وزيادة في سوئه فإنه يتلقى الدعم من الشركات

المتعددة الجنسيات في الخارج ومن مجلس الكنائس العالمي الذي يصر على تنصير هذا البلد بأعداد مسلميه الهائلة.
وهناك ظاهرة تلفت النظر وهي الهجرة الصينية الكثيفة منذ بداية السبعينات إلى الآن ، أفواج هائلة من الصينيين تأتي عبر سنغافورة وهونج كونج بشكل غير قانوني ، ولكن بتآمر مـع الأوسـاط الـرسمـيــة فـي البلاد ، ومن المعتاد ملاحظة "أندونيسيين" في كثير من المدن يحملون كافة الأوراق الثبوتـيـة والـوثــائق التي تثبت أندونيسيتهم رغم ملامحهم الصينية ورغم أنهم لا يتكلمون كلمة واحدة من اللغة الأندونيسية.
المشكلة نفسها التي حصلت للخليج حصلت في أندونيسيا هناك.
إن النظام التعليمي في أندونيسيا متجه إلى الانقسام إلى شعبين:
1- الشعبة العامة وهي تعليم كمي متجه إلى عامة الشعب همه محو الأمية دون عمق.
2- الشعبة الخاصة وهي تعليم نوعي ونخبوي يسعى إلى تخريج طبقة هي المؤهلة للإمساك بزمام البلاد ، وقيادة نتاج الشعبة الـعـامـة، وهــذا غـالـبـاً ما يكون تحت سيطرة وتمويل وتوجيه البعثات النصرانية.
الداء واحد في كل البلاد الإسلامية وهو يقظة الأعداء وتـصمـيـمـهـم وتعاونهم فيما بينهم ، وغفلة المسلمين ، وذهاب ريحهم في الخلافات.
هل ينتظرون إلا أن يصبحوا أقلية حتى ينتبهوا إلى المشاكل التي تـعـصـف بـهـم فيحافظوا على وجودهم من الانقراض؟!.

حدث في زنجبار

إذا أردت بطاقة للعبور إلى الشهرة، أو لتسلم منصب مهم، فـالأمـر لا يـحـتـاج إلى مؤهلات كـثـيرة ومعقدة، كل ما هو مطلوب أن تقف على منصة في اجتماع عام لحزب أو مـنـظـمـة وتهاجم الإسلام،أو شيئاً من تعاليمه،وعندها ستصبح نجماً شهيرا،وبطلاً مكافحاً،ومناضلاً وطنياً ، ولكن ضد مَنْ؟ ليس ضد الإسلام طبعاً! ولكن ضد الرجعية والتخلف وعدم مسايرة التـطـور وروح الـعـصـر.... إلى آخر ما في جعبة مهاجمي الإسلام والمسلمين بالهجوم عـلـى شرعه و مبادئه.
هذا ما حصل في تانزانيا المؤلفة من اتحاد ما كان يعرف بـ "تانجنيقا وزنجبار".
فقد وقفت عضوة في الاتحاد النسائي الذي هو منظمة تابعة للحزب الحاكم في البلاد: حزب السفاح نيريري الذي لازال له تأثير كبير في مجرى الحياة هناك على الرغم من أنه ليس الرئيس الفعلي للدولة - وقفت لتكيل التهم والهجوم على الشريعة الإسلامية ، وطالبت بإزالة كل ما يمت إلى هذه الشريعة بصلة من قوانين ، وخاصة قضية تعدد الزوجات.

ولـدى مـعـرفة المسلمين بهذا الهجوم المشين على دينهم وعلى عقيدتهم أعلنوا احتجاجهم على ذلك، والنتيجة المنتظرة معروفة، كما يحصل في كل أرض إسلامية للمسلم عندما يعبر عـن رفـضـه للتهجم على دينه بأي وسيلة ، تتدخل قوات الأمن لا بخراطيم الماء والقـنابل الـدخـانـية بل بالذخيرة الحية ، فيسقط القتلى والجرحى ، وعندما لا تستطيع الأجهزة الـرسمـية نفى سقوط الـقـتـلـى تقلل عددهم إلى الحدود الدنيا: قتيل أو قتيلان وبضعة(!) جرحى.
ومن جهة أخرى: فقد أقــالــت وزارة الـتـربـيـة أربـعـة مدرسين زعمت أنهم متورطون في مـؤامــرات ســياسية للتحريض على العصيان وبث الفوضى في المدارس ، وقد ورد بمرسوم لوزارة التربية أنه سيعاد تعيين الموظفين المعنيين في وقت لاحق في وظائف أخرى.
وقد كان من جملة الاتهامات لهؤلاء تشويههم لسياسة البلاد وتورطهم في أعمال تخريبية. ووجهت إنذارات إلى مدرسين آخرين ومسؤولين في وزارة التربية بجزيرة "بامبا" أقيلوا من أعمالهم بانتظار مزيد من التحقيقات.
والقضية في زنجبار ليست هي تهجم "آني" على دين أهل البلاد ، بل هي أبعد من ذلك ، وجذورها تعود إلى (الاتحاد بالإكراه) الذي حصل للجزيرة مع البر الإفريقي ، نتيجة للقصف بالقنابل ، والمذابح الجماعية التي قام بها الكاثوليكي المتعصب جوليوس نيريري وأنصاره ضد أهل البلاد ذوي الأغلبية العربية الإسلامية.
وفي ظل هذا الاتحاد بين جهتين غير متكافئتين تراجعت أهمية الجزيرة التي كانت مركزاً اقتصادياً كبير الأهمية في شرق أفريقيا ، وغدت مكاناً مهملاً حين جردتها القوى الصليبية من تأثيرها ، وهي ماضية لتجريدها حتى من وجهها و هويتها.

أخبار حول العالم

الإحصائيات تؤيد الفروق الطبيعية بين الجنسين

جميع المحاولات المحمومة لدى الـعـامـلـيـن دعاة المساواة بين الجنسين ، مدعي البحث العلمي المجرد، المعادين للتفرقة الجنسية؛ والأمهات اللاتي يشتغلن في أعمال ميكانيكية، والأقارب الذين يشترون لبنات أقاربهم آلات ميكانيكية ، كل هذه الجهود باءت بالفشل ، فالبنات الصغيرات اخترن أن يكن ممرضات ، وطبيبات ، لا مهندسات.
فقد أجرت شركة "كالاردو بوسر" لصناعة الحلوى دراسة ميدانية لطلبات السوق ، فسألت (579) طفلاً تتراوح أعمارهم بين 7 و11 سنة عن رغباتهم في العمل عندما يكبرون ، فكان معظم الأجوبة-إن لم تكن كلها - تقليدية

(يقـصد كل جنس اختار ما يناسبه) ، فقد عبر 17% من البنات عن رغبتهن في أن يصبحن ممرضات ، واختار. 10% منهن الحلاقة ، في حين حبذ 9% منهن التعليم. أما البقية فقد كن يتطلعن إلى العمل كطبيبات للحيوانات، أو مضيفات في شركات الطيران ، أو سكرتيرات أو بـائـعـات فـي الأسواق المركزية ولم تحبذ الهندسة إلا بنت واحدة ، ولم تختر أية واحدة العمل في إطفاء الحرائق أو أبحاث الفضاء أو القوات المسلحة.

أما الذكور، ففضل أكثرهم الرياضة - 17% منهم ، واخـتـار 14% منهم الالتحاق بالشرطة مقابل 5% لدى البنات، والباقون اختاروا قيادة الطائرات وأعمال البناء والنجارة والأعمال الميكانيكية وقيادة الشاحنات ، ولم يختر أحد منهم التمريض أو الحلاقة واختار اثنان فقط التعليم.

وقد فضل 10% من الفتيات العمل مع الأطفال والرضع بينما رفض الذكور ذلك ، وفي حين اختار 12.5% من الذكور العمل في مجالات السيارات والدراجات وغيرها من وسائل النقل فإن نسبة الفتيات التي اختارت ذلك لا تزيد عن 1%.

الاندبندنت 1 / 9 /1988

* * *

غزل شيوعي يهودي

أعلنت اللجنة العالمية للـهـجـرة يـوم 2 /11 أن هـجـرة اليهـود من الاتحاد السوفييتي قد وصلت أعلى حد لها في شهر تشرين الأول (أكتوبر) الماضي مـنــذ عـام 1980 م حيث بلغ عدد اليهود الذين سمح لهم بالمغادرة في ذلك الشهر وحده (2473) فرداً.

وأضافت اللجنة أن الاتحاد السوفييتي كان قد سمح لـ (14288) يـهــودي بالـمغادرة هذا العام وأن (1232) منهم فقط توجهوا إلى فلسطين.

ومـن جهـة أخرى فقد وافق مسؤولون سوفييت على السماح بتدريس اللغة العبرية وهو ما كان يعـتـبـر فـي الـمـاضــي جريمة تستحق العقوبة كما تمت الموافقة على السماح لليهود بالمشاركة بالمؤتمر اليهودي العالمي ، جاء ذلك على لسان مسؤول في المؤتمر المذكور.

وفي برلين الشرقية حيّا رئـيـس الـمـؤتمر اليهودي العالمي الزائر موقف الحكومة الشيوعية تجاه اليهود الذين قتلوا في الحرب الـعـالـمية الثانية على أيدي النازيين واستعدادها لدفع تعويضات مالية مرضية لليهود الذين يقـيـمـون حـالـيــاً خـارج ألـمـانيا الشرقية. وذكر أن التعويضات ستبلغ (60) مليون دولار. وينظر إلى موقف الحكومة الألـمـانـيــة هذا على أنه محـاولـة لـتـمـهـيـد الطريق لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل ، وكان رئيس الـوزراء الألماني الشرقي قد ألمح بشكل واضح قبوله بحق إسرائيل بالوجود.

الجارديان 19/10/88 ، التايمز3/11/88
* * *

عندما تكيل الصحف الغربية بصاعين!

أدى رئيس الوزراء الـتـركـي فريضة الحج العام المنصرم ، وهو حدث كان ينبغي أن يكون عادياً جداً وأن يمر دون الـوقـوف عنده ، ولكن الصحف الـغربية التي عودتنا على الكيل بصاعين ، فيما يخص الأمور الدينية ، وعـلـى سـلـوك سـبـيـل التهويل وتحميل تصرفات بعض الناس دلالات بعيدة لم يعجبها هذا الأمر ، كما لم يعجب العلمانيين داخل تركيا ، فـمـن جهة أشارت هذه الصحف إلى أن أوزال أول رئيس وزراء تـركي بـعـد زوال الـدولـة العثـمـانية يؤدي فريضة الحج ، ومن جهة تبدي أسفها لذلك العـمـل الـذي "لابد أنه قد سبب آلاماً لروح كمال أتاتورك في قبره" كما عبرت عن ذلك بعض الصحف البريطانية.

والغريب أن هذه الصحف لا تستغرب إذا قام أي زعيم غربي بأي عمل له دلالة دينية ، بل تنوه بذلك وتشيد به ، فقد أفردت كافة الصحف الغربية صفحات للصور والتعليقات التي رافقت زيارة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا للاتحاد السوفييتي وأكثر تلك الاهتمامات انصرف إلى زيارتها للكنائس التي رفع عنها الحظر ، وكذلك أحيط تعاطفها مع جماعة التضامن في بولندا بدعاية كبيرة ، وكذلك حجها إلى قبر القس الذي قتلته الشرطة هناك لتعاطفه مع حركة التضامن ، بل إنها استشارت بابا الفاتيكان قبل زيارتها لبولندا.

هل للوقاحة حد عند هؤلاء الذين يسرهم أن يكون المسؤول المسلم لا دين له خشية أن يؤذي قيامه بشعائر دينيه روح طاغية في قبره ، وما الذي يجعل لهؤلاء حقاً في إظهار عواطفهم الدينية ، بينما يعتبر ذلك مستهجناً من مسؤول في بلد يدين أهله بالإسلام؟ أم أن للعلمانية في المجتمعات الإسلامية معاني أخرى؟!.

تمت بحمد الله
